صلاح والي

الجميل الأخير

(نص للوقت ٩٩)

رواية



الجميل الأخير

(نص للوقت ٩٩)

الكتـــاب : **الجميل الأخير (نص للوقت) رواية**
المؤلـــف : **صلاح والي**
النـــاشـــر : **دار البستانى للنشر والتوزيع**
٢٩ شارع الفجالة ١١٢٧١ القاهرة
٤ شارع على توفيق شوشة - مدينة نصر - ١١٣٧١
هاتف: ٥٩٠٨٠٢٥ / ٥٩١٥٣١٥ فاكس: ٢٦٢٣٠٨٥
E-mail: boustany@boustanys.com
Web-site: www.boustanys.com
المطبعة : دار نوبار للطباعة

© جميع حقوق النشر والطبع والترجمة محفوظة للناشر

رقـم الإيـداع : ٢٠٠٤/١٦٦٤٣
الترقيـم الدولي : ISBN 977-5383-53-6

الجميل الأخير

(نص للوقت ٩٩)

كان ذلك أثناء رحلتي إلى لاهاى، بدعوة من منظمة العدل الدولية لاستلام جائزتها عن هذا العام، وكان من المقرر أن تصل بنا الطائرة إلى لاهاى في تمام السابعة صباحاً، ولكن نظـراً للظـروف الجويـة توقفت الطائرة في مطار أورلي الدولي، وكان علينا قضاء هذه الليلـة في باريس التي لا أعرفها، فقررت اتباع التعليمات، ولم يكن معي من أحد أعرفه على متن هذه الطائرة؛ ولذلك فضلت الانتظار في المطـار وتأملت محلات بيع الأشياء بدلاً من الجولة الحرة، وكنت أظـن أننـا سننام في فندق أو ما إلى ذلك، ولكن كان هذا هو المصير الـذي ألـم بي، وجلست فترة غير قصيرة على كرسى في مكان التجمـع أمـام الوحدة رقم ٨ وهو مكان التجمع بعد خمس ساعات، وأخـذت أتأمـل حركة المسافرين والرائحين والفتيات الشـقراوات والزنجيـات وكـل الألوانات الجلدية؛ وحزنت لأمرين لا ثالث لهما. أولاً: لأن معرفتـي باللغة الفرنسية كمعرفتي بلغة سكان المريخ، وثانياً: لأنني بلغت مـن العمر خمسين عاماً. لكل هذا قررت عدم البحلقة المحروم منها التـي

ألطعها على وجوه وأجساد خلق الله الكرام. وفتحت حقيبتــي وتأملــت الدعوة المرسلة إليّ وأعدتُ قراءتها وتذكرتُ كيف لم يخطر على بالي أبداً أن يصل صوتي طوال هذه الأعوام إلى كل بقاع الأرض وأكــون مسموعاً، وهناك تقدير ما لدعوتي، وكنت أود أن تكــون الاســتجابة بانتشار الدعوة في بلادي التي قابلتها بالعنف والسجن.

– لو سمحت أستاذ

كان هذا هو صوت اليد التي وُضعت على كتفي وكنت أتوقع أنهــا من المسئولات عن الرحلة واستدرت واقفاً

- نعم
- اتبعني لو سمحت

تبعتُ هذا الصوت (لو سمحت) بلا حول ولا طول وكانت تتجــه إلى الخارج ولكن خارج أي شيء؟ لا أعرف، ولكنى أيضاً كنت أحسُ أنها تتجه إلى الداخل أيضاً، كانت ترتــدى بنطلونــاً أزرق بروســيا، وجاكيت أبيض به كرات زرقاء منتظمة ومــن نفــس درجــة لــون البنطلون، والحذاء خفيف أبيض ولكن كانت خطواتهــا واســعة جــداً لدرجة إنني كنت أحس أنها لا تلمس الأرض، وكان شعرها الكستنائي – وهو الذي كان أسود ثم ظهرت به علامات الشيب فــدهن بالحنــاء الحمراء فصار لونه بين الأحمر والأسود – كان متماوجاً ويتهدل على الأكتاف والجسد، كانت تسير أمامي وكنتُ أحاول أن أتــذكر وجههــا ولكن باءت كل محاولاتي بالفشل، فقررتُ أن اسبقها ثم التفــتُ إليهــا أتصنع سؤالا ما، وبذلك يتاح لي الوقت لمشاهدتها وتأمل منظرها.

كنا نهبط السلم، وربما نصعد وعند الدرجة الأخيرة التفتتْ إليّ وقالت بسرعة شديدة: "اركب."

وعندما رفعتُ رأسي لأراها كانت قد دخلتْ إلى جوف السيارة وتبعتها، ولم تتكلم خلال الرحلة ولم أسأل إلى أين، وكان وجودي بالسيارة فرصة كبيرة لترتيب أفكاري، وتأملها، وهي بجواري تزاحمني بجسدها المكتنز والطرى والدافئ، وافترضتُ أن الرحلة ستقوم من مكان آخر وهذه إحدى العاملات بالمطار ولكن أين باقي الركاب؟

ثم من أين عرفتْ أنني هنا ولم أذهب في الجولة الحرة؟

وقلت في نفسي هذه فرصتي للأسئلة والتفت إليها. كانت بيضاء كالحليب (رغم أن البياض كالحليب لا يمت إلي الجمال بصلة كما لا يمت البياض إلى النقاء ولا السائل عديم الشوائب إلي الصفاء بصلة، ربما لأن مستعمرنا كان دائماً أبيض فنحن نريد أن نفعل به في الفراش أن نجعله امرأة، ولأن المرأة في بلدنا مهانة فنحن نريد أن نهينه وندخل في عورته التي تجاهد المرأة في الحفاظ عليها أو في استغلالها لترفع بها علم الشرف والتربية)، ولها عيون واسعة وجميلة ولكنها صامتة، كلها صامتة لدرجة أنني تخيلتها ميتة، وابتسمتُ لها فابتسمتْ بطريقة الانتقال بالتأثير، فلم تبتسم إلا بعد أن انتهت ابتسامتي مباشرة لكأنما أخذت نهاية ابتسامتي وأعادتها إلى الأمام، فكانت ابتسامتها، لدرجة أنني وجدت ابتسامتي على شفتيها وأكاد أرى فمي وشفتيّ!!

توقفتْ السيارة ونزلتْ فنزلتُ، وأمسكتني من يدي ودخلتْ بناية واسعة ذات دور واحد وحولها حديقة ربما غابة ولكنها أشجار، واستمرتْ في المسير داخل البناية فقلت: "لو سمحتي ...إلى أين؟"

ودون أن تلتفت قالت: "معي."

انعطفت ناحية اليمين فأسرعتُ في السير، وجاورتها وأمسكتُ يدها وأوقفتها فأخذتني في حضنها وقبلتني باعتصار شفتي – ربما تظن أن اعتصار شفتيك شيء من تراث السينما، ولكن تخيل أن تمــر شــفتيك بين درافيل عصر القصب، هل فهمت؟، هل لهذا علاقة بالحب أو أي شيء؟، ولهذا كنت شيئاً لا علاقة له بما يحدث حوله –، فتملصتُ منها وقلت: "إلى أين؟؟"

قالت: "معي أنا أريد هذا."

قلت: "والسفر والطائرة؟"

قالت: "ستسافر وستستلم الجائزة فمازال الوقت طويلاً جداً، أنــت معي ستعرف كل شيء وستفهم."

استدارتْ وسارتْ.

ثم فجأة توقفتْ وهبطتْ تحت شجرة، سلالم كثيرة، ودلفنا إلى ممر مريح ثم إلى باب سميك بنى اللون، وضعت عليه عدة أرقام، مــررت يدها فانسحبَ إلىالحائط، ثم دخلتْ إلى شقة فسيحة جداً؛ وأشارت إلي دورة المياه فوضعتُ حقيبتي على الكرسي ومددتُ يدي لسحب فوطة، فأمسكتْ بيدي وسحبتني حتى الباب وأشارت إلــى حــذائي فخلعتــهُ فسحبتني حتى دورة المياه وقالت : "تفضل كله موجود."

ولما كانت أيام وليالي ألف ليلة قد مضت منذ زمــن بعيــد، ولأن الزمن غير الزمن، فلم أتوقع مثلاً أن أجد بيجامة على مقاسي وما إلى

ذلك، ولكن خلعتُ كل ملابسي واستحممتُ فأحسستُ براحة ما بعــدها راحة، ثم وجدت سروالاً ومقمصة من الحجم (لارج) ولبســتهما ثــم خرجتُ وجلستُ على الكرسي الذي كانت عليــه حقيبتــي، فجــاءتْ وجلست بجواري ووضعت يدها على كتفي وقالت: "عاليــا إبــراهيم ساروس، من ازباكستان وأنت تناديني كأمنية من أعوام وابحث عنك، أمي تركية، وأبى يهودي، أو ربما بلا ديانة لأنه أسلم وبعد موت أمي تزوج مسيحية وتنصر، ثم اختفى!!"

كلما أردت أن أتذكر، تعرض الأحداث أمامي ثم أصاب بزغللة في العين، وتتبقع صفحة المشهد كله ببقع بيضاء تأخذ في الاتساع ثم يدكن لونها حتى تصير سوداء فيتبدد المشهد كله ويتحول المشهد إلي ســواد داكن.

وعندما أحاول أن أتذكر نصاً أو كلاماً فإن الكلام المكتوب يكــون كالصيني، تقع كلمة من سطر على الذي أسفله فيتحطم الكلام تمام وأي محاولة لإنقاذه تزيد التكسير والتشويه فيستحيل رؤية النص.

وفي حالات أخرى يكون الكلام المكتوب كغرز التريكو فيكر مــن أمامك السطر، بأن تنسل غرزة واحدة من أي مكان فيتفكك النص كله تاركًا مكانه فراغات سوداء تقفل عليك أبواب التذكر.

ثم أكملت وقال لي أحد معارفه: أن عمره الافتراضي قد انتهى.

وفي الحقيقة أنا لا أعرف، ولكن كانت فرصتي أن وجدتك لأن هذا الأحد معارفه يعرفك ويكن لك جميلاً، وقال أنه سيبوح لي بأحد هــذه الأسرار في وجودك لهذا كان لابد من وجودك وانتظارك.

قلت: "والجائزة؟"

قالت: "ستكون هناك وستستلمها، والآن إلى الطعام."

ذهبت إلى مائدة الطعام وأنا لا أعرف إن كنت أجلس طمعاً فيها أو حباً للكشف، وإن كان كله حباً للكشف؟؟

وكانت تلبس منامتها البيضاء الواسعة وقدمتْ لي كوباً من اللـــبن، وكان قد اتضح لي فيما بعد أنه ليس لبنا بالمرة، ولكـــن بعـــد تناولـــه أحسستُ بشجاعة واستهانة بكل شيء، فمـــددتُ يـــدي إلـــى شـــعرها وتحسستها وهى تقترب مني، ثم انزلقتْ من بين يدي وخلعتْ ملابسها مرة واحدة فخلعتُ ملابسي على دفعتين، وكانت عارية ولكنـــه جســـد شمعي يطفئك، وتأملتها، بيضاء شقراء بجسد أبيض بلون واحد في كل مناطقه، ما هذا؟ ليست هناك مناطق سوداء من أثر الحلاوة – وكـــأن الحلاوة قد تركت نارها في هذه المناطق – لم أجد لها شيئاً عند بيت ولادتها!، لم أجد!، وكان التقاء الساقين بلا دلتا بينهما!!!

لم أفهم ولم اندهش ولكن سافرتُ في بلاد بعيدة وقلتُ إنها جنية من بلاد الجن، وكدت أحسُ أنني دخلتُ في كامل حالات الشلل الـــذهني، فانتبهتْ وأسرعتْ إلى الداخل وأقفلتْ باباً، فكذبتُ نفسي وقلتُ: "لعلي."

وعادتْ وسحبتني إلى حجرة النوم كانت خاليـــة مـــن أي أثـــاث ومزروعة بالحشيش الأخضر ومساحتها خمسة وثلاثون متر، بطـــول سبعة أمتار وعرضها خمس، وكانت مؤخرتهـــا عاليـــة، فأجلســـتني واستدارتْ فكانت آنسة كاملة شديدة؟ من أين نبت لها ما نبت؟

ولكنها أخذتني إليها... وكنت أحسُ كأنما آلة تسحبني منـــي إليهـــا ويكاد عظمى يفرغ مما فيه، إن كنت مغرماً بالوصف لذلك إلا أن مـــا حدث لا يوصف، تأملتها بعد الانتهاء فكانت كالقتيل، فتشاغلتُ بـــالنوم فقامتْ إلى نفس الحجرة التي دخلتها سابقا؛ فتلصصتُ عليهـــا كانـــت تمسكُ بمفكٍ من النوع الكبير الحجم (جم) وتضعه مكان سرتها وتديره، رويداً ..رويداً، فيبرز بيت ولادتها إلى الأمام، ثم ســـحبتهُ وضـــغطت على جوانبه وشدت زراراً وأفرغت ما فيه من قوتي التي سُحبتْ منى، ثم أدخلته إلى جهاز كثيف التكوين وبعد قليل أخرجته ووضـــعته فـــي صندوق زجاجي ثم أقفلتْ عليه وأقفلتْ مكانه في جسدها بقطعة مـــن نوع جسدها!!!!

هل أفقتُ بعد ذلك؟ هل حاولت أن أشك أو أتراجع؟ أبداً فالإنســـان جبان وطماع، ويبرر كأن يقول خليك مع الكذاب وهو الكـــاذب، هـــو يريد الاستمرار، وكلما يهم خاطر بي أهرب منه بأن أقول: ربما تكون هذه رواية من روايات صلاح والي السخيفة والتي يحول فيها النـــاس إلى آلات ولكنك لا تكتشف هذا إلا في آخر الروايـــة إلا أنـــه ينبهـــك طوال الرواية بأنه يشك في إنسانية هذه الشخوص.

ظللتُ في مكاني إلى أن سحبتني من يدي، وأنامتني على الســـرير فرحتُ في نوم عميق.

وصلتْ الطائرة إلى لاهاى واستقبلتُ بمظاهرة غير متوقعة حتـــى أن اللافتات التي حملتْ في الاستقبال كانت تحمل اسمي!! رغم أنني لم أسع إلى مجد شخصي، وكان أولى أن تحمل شيئاً عن القضـــية التـــي سجنت من أجلها، وبعض اللافتات تحمل اسمى فقط.

ثم ذهبنا إلى المؤتمر الصحفي، ثـم تسـلمتُ الجـائزة، وأدليـت بعشرات الأحاديث التي تتكلم عن ظروف سجني منددة بالعالم الثالـث وعدم توافر أجواء الحرية للمبدعين من أبنائه، لـم يكـن عنـدي ذرة واحدة من الشك أن هناك ما يدعو إلى الحذر لكنك لا تعرف من أين، لكنك مبسوط من الاستمرار في اللعبة، ومبسوط أنك أنت المتنور فـي بلادك المتخلفة. وهنا يقف الإنسان في موضع الحيـرة.. هـل نقـف مكتوفي الأيدي أمام وصف بلادنا بالتخلف والنقصان تجاه الحريـات، وحقوق الإنسان؟ ونندم أننا عرضناها إلى هـذا الموقـف، أم نسـكت وتظل ضمائرنا تتعبنا؟

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة

فما العمل يا عزيزة؟

السكوت ليس هو الحل وأنا غير مبسوط؟!

كنت في حالة الاستلقاء هذه أتذكر ذلك الشخص الذي سيقيم الثورة الشعبية، وبعد أن حشد الجماهير فإن الطليعة المثقفة خانتـه وتخلـت عنه، قال لي: أنني أعاني من الطبقات التي ندافع عنها. يريدون منـي أن أقول لهم في الرايحة والجاية السلام عليكم؟ ولما كنـت مهمومـاً بقضايا الجماهير وحشد كل الطاقات ومتابعة التوصيات، فأنا أسير في الشارع أسير ما أنا فيه من فكر فقالوا أنني متعال عليهم؟ كيف لي أن أتعالى على طبقتي وشعبي ومستقبل هذه الأمة؟

فقلت لهم: كيف تقولون هذا الكلام عن واحد شيوعي مثلي يا ناس؟

وأخذت أعطيهم السلام والتحية كلما أمكن حتى قالوا أننـي أقـول السلام عليكم لكلاب الشوارع، هذا قدر الطليعة، رغم أنني أقاسي من

الإدرار اللفظي الذي يلحون به على ذاكرتي ويقولون في أذن سـائق العربة إرمه في البحر أو أدخل به في مزلقان السكة الحديد وينـادون عليّ وأنا بالطريق ويشككون في كل شيء حولي ولكنى أقاومهم، أنـا رجل مؤمن بالله وقد اخترعت لهم الإسلام اليساري وهو يختلف عـن اليسار الإسلامي فقالوا أن مقالتك أصـعب مـن ضـرب رصـاص الإرهابيين، ولكنني أقاوم وقد أرسلت مقالات إلى أعلـى المسـتويات أحذرهم فيه من كل ما في المنطقة ولكن لا أحد يسمع كلامي، ثم أنني عرفت أن لكل إنسان شفرة وتردد معين يمكن عن طريـق التصـنت الذي يمارس من شبكات في السجون والمراكـز ومـدريات الأمـن والأجهزة المختلفة أن يلتقط شفرة أي واحد ويدسون له الكلام ويملون عليه ما يريدون ويشككون في أفكاره ويصيبونه بالصداع عن طريـق السحر، ولكنني أقاوم وأقول معي الله ومن يصيبني بالسحر ينقلب عليه (فيموتون) من الصداع، ويؤثرون على زوجتي و ابني الصغير فيظل يسعل من الساعة الثامنة مساء حتى الفجر وأنـا أرقيـه، ويشـككون زوجتي فيّ فتقول أنت أهبل فأقول هم يريدون منك ذلك، كيـف وأنـا أقود الطليعة، أنا عندي أربعون عاماً وعبد الناصر قام بالانقلاب وهو في عمر خمسة وثلاثين عاماً ونحن ننتقد سياساته فكيف أننـي أهبـل يريدون منك أن تظلي تتكلمين حتى الفجر حتى تنفجر عينك أو رئتيك ولن يعينوك في البنك ولن يصير مرتبك ألف جنيه، يريدون تجنيـدك كما تم تجنيد زوجة الشاعر والمسرحي العظيم ياسين مصر لتجسـس عليه زوجته بعد أن منعوا زوجته من دخول البلاد رغـم أنهـا بـلاد

صديقة، ولو عرفت كيف قاد لينين الثورة وماذا قال ناظم حكمت، أن أجمل الأيام لم تأت بعد، وأن الثوار عشاق جيدين/ تشقلبى يا وليه/ ثم تبكى ونحن في هذه الحالة ثم تنام منهكة، هل فكرك أنا أريد شيئاً من أحد من الناس؟ أبداً، يعنى صاحبك الأستاذ الكبير وصـــاحب مكتــب المحاماة الشهير وتربية اليسار مؤثرة فيه وهو مليــونير الآن، طلــب منى أن أنظم له مكتبه وعندما انتهيت من التنظيم بدأ يظهر اختلافــه معي في كل ما أقول، وصار أي والله العظيم – لا تعجــب – ينتقــد أفكاري، ولكن حتى لا أفوتك في الكلام الواحد منا عليه حمــل ثقيــل ومسئولية وأنا قلت للأولاد هنا أن هذا عمل تاريخي يفوق كثيراً تنظيم لينين لأفكار ماركس – أنت تفتكر إن ماركس كان يقدر ينظم روســيا أو أن تصبح الاتحاد السوفيتي؟ أبداً وحق جلال الله – لينين ولد فــاهم قوى وراس كبيرة ودماغ متكلفة موت.

– لكن أنا آخذ عليك غرقك في المخدرات.

– لا تتكلم في هذا الكلام أنا رأس تعمل ليل نهار من عملي وتنظيم الحزب العلني والتنظيم السري – مثلاً أنا أخذت قرار برفد وشــطب عضوية كل من فريدة ورفعت، لم يوافقني أحد ولكن أنــا اعتبــرتهم مفصولين – ثم لابد أن أنام حتى أستطيع مقاومة الهواتف التي تــدخل على موجاتي وهذا ما فعلوه مع أوجلان، وهم منتشرون تبع ال CIA وهم أصبحوا جهازاً ضخماً في كل مكان يؤدى خــدمات بمقابــل لأي هيئة مثل الإنترنت، ويتجسسون على CIA ثم أنهم يرددون في مسامع زوجتي سيل متدفق من الكلام لمدة نهار وليل كامل متصــل، وهــذا

الكلام بصوت يشبه صوتي وأفكار تشبه أفكاري، وقبل أن تقول لـــي كيف أقول لك، في يوم اتفقت مع زوجتي أن تغيب من العمل بعـــد أن تترك الولد عند أمها على أساس توهمهم أنها ذاهبـــة إلـــى الشـــغل و نقضي يوماً جميلاً، التقطوا كلماتي وصبروا حتى عادت بعد أن تركت الولد عند أمها وأخذوا يقلدون صوتي ويرددون كلام لخبطة عن الثورة والتنظيم والفلوس وأنا لا أحتاج إلى فلوس فأمي اشترت لي نصف دار وستشترى لي النصف الباقي والفلوس زي الرز، ظلوا يرددون هـــذا الكلام ثم كلام عن الرقص والعرى طلبوا منها أن تنام عارية وكـــأنني الذي أطلب منها، هل هذا معقول أن يصدر من رجل مثلي مؤمن بالله وشديد الإيمان، طلبت منها أن ترقى الولد

– الولد عند أمها

– برافو عليك كنت أظنك سرحت ثم إن لا،....يس ....

ما الذي كنا نقوله؟

– آه قلت لها ارقي الولد، قالت الولد عند أمي.

– قلت لها ارقي الولد في سرك، فإذا بها تقوم وتتوضـــأ وتصـــلي ركعتين لله العظيم، فرحت غاية الفرح فرح لم أفرحه من يوم وحـــدة الشيوعيين المصريين (وش)، فأنا أعرف زوجتي عندما تصلي لابـــد وأن تختم الصلاة ثم تحسبن وتدعو على من ظلمني وظلمها وزمـــان كان تدعو على أمها لأنها التي ظلمتها بزواجها منى تخيلوا، رغم أنني فرصة عظيمة لها للزواج لن تتحقق لها لو تكرر زواجها مليون مرة،

أنا واحد متعلم ومثقف وقائد ومنظم أتزوج واحدة ليست مثقفة وغير منظمة ولم تعرف شئ في السياسة ولا تستطيع أن تفرق بين الحزب الوطني وإسماعيل بيض، ورضيت بها كما رضيت بكل شئ رغم أنفي وقلت يا ولد حتى تتفرغ للسياسة وتنظيم الجماهير.

فالسياسة يا حبيبي شغل كبير وتحتاج إلى تفرغ وترتيب وتنظيم، ولو كنت من لاعبي الشطرنج كنت فهمت ما معنى كش ملك؟

رغم أنني غير موافق على هذه اللعبة لأن كش ملك يعني مات فلابد أن يكون في الشطرنج تنظيم جماهيري ليفرز قيادته، ولكن ما معنى كش ملك ثم تعطيه فرصة للحياة؟

قلت له: يمكن أن ترقى عسكري فيصبح ملكاً.

صرخ: أعوذ بالله عسكر ثاني، سنظل في حكم العسكر حتى الموت.

قلت له: هذه شروط اللعبة.

قال لي: أنا بنظري الثاقب أود أن أغير هذه اللعبة وبدلاً من أن يكون الملك والوزراء خلف العساكر وقود الحروب وحطبها لماذا لا يكونون في المقدمة أو على الأقل وسط الجماهير يعني في وسط الشعب.

قلت له: الشعب عندما يدخل المعركة يكون عساكر وقادة حتى يسهل تسلسل الأوامر.

قال: لا أريدها ثورة شعبية يا بنى آدم، تبدأ بمقاومة شعبية.

قلت له: كيف؟

قال: أسلح الجماهير، فتفرز قياداتها وتنزل المعركة من كل جانب – كان يشير بالأكواب ويحاصر نقطة الماء التي على طاولة المقهـــى، أنظر سنوقع ضربات مؤلمة بالعدو، هنا نتعلم مـــن دروس المعركـــة وتأتى الطليعة الثورية المثقفة لتحلل المعارك وتدرس الواقـــع وتحـــدد تصورات للمعركة القادمة أو المرحلة التالية، من هنا نتلافى الوقـــوع في نشوة النصر أو يأس الهزيمة، وذلك يعنى الاستمرار –

قلت له: وقفة تعبوية

صرخ: لا تذكرني بالخيانة، الله يرحم الجميع.

قلت له: معنى هذا أنك تريد من الدولة أن تسلح الجمـــاهير لتقـــوم بثورة شعبية ضدها، وهذا غير معقول.

قال: إذا كانت ديمقراطية.

قلت له: هذا خلط للأوراق، هناك فرق بين الواقع الآن والواقع من عشر سنوات ولابد لمن يخطط أن يجد توافقا قدر الإمكان بين ما نريد وما هو موجود مع مراعاة أن سقف العالم يتغير.

قال بحزن: هكذا ينتهي المثقف الثوري إلى التبرير، لكنى مســـتمر وسأنظم الجماهير وأدفعها بانتظام في اتجاه الحرب الشعبية ..

قلت له: ضد من؟

قال: ضدك، وضد الدولة، والطابور الخامس، والمنهزمين والمبررين

قلت له: يمكن بالحوار والجدل الوصول إلى آليات لتطوير النظام وإحراجه ودفعه بانتظام للتنازل للشعب عن مكاسب في الحرية والديمقراطية.

صرخ: يا رجل قوم روح، إذا الشعب يوماً أراد الحياة يا عم الحاج، وللحرية الحمراء باب يا مولانا، ولكن تؤخذ الدنيا غلابا للغلابة

قلت له: حتى لو سلمنا بصدق ما تقول فإن هذه الأشعار لم تحرر شبراً واحداً، قد تعطى أملاً ولكن الحياة الآن غيرها من سنوات.

قال: أنت لا تعرف شيئاً عن الناس وكيف يتغيرون هل تعرف إبراهيم العايدي؟، لقد رشحناه لعضوية مجلس الشعب وخضنا معركة مشرفة وأجبرنا الحكومة على الاعتراف بفوزه فوزاً ساحقاً، فما الذي حدث؟

وضعنا له خطة للحركة في مجلس الشعب ومطالب جماهيرية واسعة واستجوابات رهيبة، لكن عمك إبراهيم اشترى التلفون المحمول ولبس حمالة للبنطلون وجلس يشرب الحشيش مع المأذون كل ليلة، وسرح شعره بالفازلين، وأخذ في كل جلسة يذكر أنه كان مع فلان الفلاني وتعشى مع علان وسافر الإسكندرية مع ترتان وكلها أسماء من القيادات الكبيرة في البلد، فقلت للشباب لابد من مواجهته لأن أي

حزب محترم لابد أن يحاسب أفراده، فرتبنا له مؤتمر وطرحنا عليه الأسئلة فإذا به يتكلم كأنه العليم ببواطن الأمور ويقول أن هناك أشياء في السياسة لا يستطيع الكلام فيها، تصور؟ أي دولة محترمة ممكن أن تأتمن إبراهيم العايدي على أسرار؟

من أجل هذا وغيره سقط بالثلاثة في الدورة التالية وباع كل شيء وأصبح أصلعاً ولم يبق له إلاّ حمالة البنطلون.

قلت له: ما الذي كان يمكن أن يطالب به؟

قال بحماس: تسليح الجماهير.

قلت له: يا أخي خليك واقعي.

قال لي: اسمع سأقولها لك وكنت قد أجلتها طويلاً، كل المثقفين يتمنون أن يصبحوا من رجال الحكومة فإذا لم ترض الحكومة صاروا في المعارضة من أجل الظهور أيضاً، بدليل أن صاحبي اليساري العتيق إسماعيل رحمي مع أول بصيص ضوء طل من جهة الحكومة نام على سلم هيئة الكتاب وهات يا كتب، والباقين من النقاد وأساتذة الجامعات يضربون في بعضهم أسافين غليظة من أجل مناصب الحكومة، والشعراء الصغار يبدلون قناعتهم الفكرية كل صباح حسب الذي يدفع.

قلت له بحدة: اسكت.

وضربت بيدي طاولة المقهى فانتفضت واقفاً فصحوت من النـــوم وأنا في حاله من حالات فقدان الذات والحيرة وعندما تذكرت ما كنت فيه فزعت

- عاليا....عاليا عـــــــــاااااااليـــــــــا

- نعم

- الجائزة، والسفر، والوقت تأخر بنا

- لقد سافرت واستلمت الجائزة، ألم ترى ذلك الآن؟

- في الحلم؟

- ليس هناك ما هو حلم وما هو حقيقة فأحلامك حقيقتك.

- يعنى هل ما رأيته قد حدث فعلا؟ وان هناك من استلم الجـــائزة مدعياً أنه أنا؟؟؟؟

- لا... كل ما رأيته كان أنت

- كان أنا؟

- تعال معي

سحبتني إلى غرفة المعرفة (هذا الاسم أطلقته أنا عليها فيما بعــد) واختفت، ما معنى هذا؟

أنا فعلاً أحس أنني سافرت واستلمت الجائزة وأتذكر جميع أحداث حفل التكريم.

ربما هو تخيلي عن الحفل؟

ربما رأيته وحضرته فعلاً؟

ربما قصّه أحد عليّ فعشته كما حدث.

(والدليل على ذلك أنني أعرف وأكاد أرى صورة بصرية لزواج أبي وأمي وقصة بناء المنزل والعقبات التي ظهرت أمام العائلتين تمنع إتمام الزواج بسبب مشاكل على الأرض والحدود وما إلى ذلك)

كانت حقيبتي ملأى وبجوارها حقائب ولفات كثيرة!!

فتحتُ الحقيبة كانت بها ملابس كثيرة مرتبة وجميلة وخاصة بي وبزوجتي وأولادي – أعتقد لا مجال للسؤال عن مدى تناسب المقاسات – فدخلتُ في وسط مستنقعات الإيهام المؤكد الحدوث.

ولكن للحقيقة، إذا كان مازال لها مكان هنا بالذات، فأنني أحس أنني أعرف هذه الفتاة وأنني أميل إلى الاستمرار معها، وهناك نوع من حب الإستنطاع والتبليم الغريب الذي يسيطر عليّ، كما أحسُ أنني أعرفها أو قد قابلتها أو زرتها ليلة واحدة. زمان، ولكن ما جعل كل هذا غير حقيقي مسألة تركيبها العضوي وإصرارها على التنسيب لأهلها وديانتها ولا حظ أنها لم تترك دينا إلا وجاورته.

ليس الزمن بالنسبة لي مفقوداً وأنا أكاد أجن فلنرتب الموقف:–

.أنا أحس أنني لم أغادر هذه الغرفة مطلقاً.

.متأكد من أنني ذهبت إلى الحفل بكل تفاصيلها الدقيقة.

.لو حدث كل هذا فمتى اشتريتُ كل هذه الأشياء؟

.متى أمكن تدبير الوقت والنقود لهذا الشراء؟

سيقولون لك أعدت من قبل؟

سيبرز إليك سؤال مجرم، من الذي أعد؟ ولماذا؟ وما هو زمن القبل هذا؟.

دخلتُ الحجرة التي دخلتْها قبلي فوجدتها واقفة تحمل مظروفاً في يدها – مظروف هذه مثل مقذوف في تخيلي فهو شيء يصعب التكهن بمحتواها، ولا يبرز إلا في المواقف الصعبة –

ولفة كبيرة، كانت اللفة من القطيفة الخضراء ينام وسطها درع الجائزة متألقاً – ستفرح به زوجتي تعويضاً عن عدم وجود ذهب في حوزتها (إن كان لها حوزة في الأصل) –

ومصنوعاً من سبيكة شديدة عليها اسمى وعام المنح

المظروف به الشهادة الخاصة بمبررات المنح

ثم قالت: أما مصاريف السفر والانتقالات و الهدايا الخاصة بالأولاد فهذه من (عندنا)

قلت: من عندكم ... من ... كيف؟

لم ترد ومدتْ يدها وسحبتني إلى حجرة أخرى وأجلستني على السرير (ربما من السرور، ولكن سبحان ربى العظيم أنا لا يحلو لي الخناق مع زوجتي إلا على السرير حتى لو كنا في الصالة أسحبها إلى السرير ونضطجع ونكمل الخناق، ولا مانع من قيامها بعمل كوبين من الشاي لنا وتقول: شايكَ به ملعقة واحدة ناحيتك .. أنا غير مقتنعة وهذا استبداد بالرأي ... ونكمل الخناق حتى تنام منى وهى لا تنام بعد عدم مشاركة في الحوار إلا إذا كانت زعلانة لهذا فالسرير من السرور)

ثم وضعتْ الشريط بالجهاز وأدارتْ الفيديو والتلفزيون فرأيتني ابتسم، وأصبح ماكينة كلام عن بلدنا والناس وأبي وأمي وأخوتي والسكاكرة والحواري – يا سلام .. يا دين النبي – وعائشة الخياطة وطلعت حرب صديقي وأحمد أبو شوشة كل الناس هنا، ثم المدينة، والناس، والقهوة، والقاهرة والقهاوى من البستان، فنيكس، والحرية، والتحرير، والبرابرة، وليالي الحلمية، أنا هنا أشرب القهوة السادة وادفع الحساب والله أنا جميل خالص ...... هاهي الطائرة والسفر وفرنسا، ثم استكمال السفر إلى لاهاي، والذهاب إلى الحفل والاحتفال والكلام والناس، وأنا أقول كلام ثم عرض لخروجي من السجن ولقاءاتي بالصحفيين والمجلات والجرائد وحفلات التكريم ثم استلامي الجائزة لكن أمسك – ليس لي بدلة بهذا اللون–؟ قلت: اجعلها مفاجأة لها، هذا غير سفري من مكان التكريم ومن أول الذهاب إلى الفندق وظهوري في محطات التلفزة العالمية حتى الرجوع إلى باريس.

قلت لها: البدلة جميلة.

قالت: تحب أن ترى نفسك بعد عودتك إلى القاهرة والذهاب إلى أولادك

قلت لها برعب: لأ.... أرجوكِ اتركي شيئاً واحداً جميلاً وحقيقياً ليبقى لي من دنياي، وخذي فوق ما أخذتِ..

ثم انخرطتُ في بكاء الغريب الذي ليس له أحد في هذا العالم.

– ليس هذا ما أردت

– ولكنه ما أردنا

لم تتكلم معي غير هذا ولم تتأثر وأدخلتْ الشريط الثاني ورأيتني كيف تنطلق قدراتي في الحديث بكل اللغات المختلفة كأنما ركبت لي شرائح برمجة في دماغي، ثم وقائع تلبية مؤتمرات وجلسات استماع، ولم يكن هناك مجال للاستغراب – هل أنا فرح بكل هذا؟ –

فقلت بصوت عال: ولماذا نحتاج إلي الاستنساخ؟ هذا وهم.

ضحكتْ ضحكات طويلة وعميقة وقالت:

أرجوك كرر هذه العبارة، أرجوك كرر هذه العبارة

كان صوتها يشبه صوت (انتبه السيارة تعود إلى الخلف..) ذلك الصوت الآلي الذي ينطلق عند عودة السيارة إلى الخلف

قلت لها: كوني كما تبغين ... لكن الحقيقة

قالت: أليست الحقيقة هي ما يقع في نطاق حواسنا الخمس واستنتاجاتنا ... أليس هذا كلامك؟

قلت: لكنني أحس بشيء باطل وسط كل هذا

قالت: العلم لا يخدع أحد لكننا ننسي، هل تذكر مادلين

.... (السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهمـــا) هنـــا تنفتـــق ذاكرتي وكل كياني ومعلوماتي.

مادلين؟؟!! فُتح الباب في رأسي ودخلت تتهادى على وقع دقـــات قلبي وابتسامتها شرك الغواية بيننا،

يا الله، كيف وضعت فينا هذا النسيان البديع؟

يا واسع الرحمة لماذا ضاقت عليّ الرحمة بالنسيان.

كيف؟.. لقد تبددتْ وهما، وصـــنعتها تجربـــة، ووضـــعتُ فيهـــا عنفواني، وجعلتُها متدينة بكل الأديان، ووضعتُ لها عمـــراً قصـــيراً شهراً واحداً، ومقداراً عنيفاً من الشهوة، وأجملتُ الجســـد، ومنْطَقْتُهـــا بفصاحة الكلام والعشق والامتداد لمدة عام، وعندما أعطيتهـــا قـــدرة التجسم وأطلقتها على الشبكة العنكبوتية معها كل مؤلفـــاتي، نســـيتها، وقلت: ربما سأجدها، وبحثت عنها ولم أكن جاداً في البحـــث، وألقـــى القبض عليّ لعامين متتاليين ثم نُبئت بالجائزة كيف أتذكر مادلين؟

قالت: هل تنسى من صنعت بيديك

قلت لها وأنا أرفع يدي في وجه كلامها أريد أن أوقفه: الرحمة ... كُفى

قالت: كأنك لم تذكر أمي طوال هذه السنوات (كانت مادلين تتبدد وتبهت قليلا.. قليلاً، وتتضح في عقلي وذاكرتي بنفس درجة التبدد)

قلت لها: عامان ضاعا من العمر سقطتُ فيهما في النسيان فكيف أذكر، لم يذكرني أحد حتى بالخير، ولأن النميمة من عادة البشر فقد تم نسياني في السجن، ولم يكن العزيز لديه من تعب البال أن يرى أحلاماً تؤرق مسيرته في الحياة؛ ولا هو مهتم بجوع الناس، فهو لا يحتاج إليّ لتفسير حلمه.

كيف يمكن أن يحدث كل هذا في وقت قصير؟

عامان يعادلان في الزمن القديم من عشرة أعوام، حقبة كاملة أو عصراً جيولوجياً كاملاً.

- مادلين هي أمي (من صنع يديك)، وأبى من تكوين مبرمج يهودي التقط أمي من على الشبكة ولأن بها بعض الأصول اليهودية كأبناء وسلالة، ونشرهما جدي في الألفية الثالثة يوم وضع الهريم الذهبي فوق الهرم الأكبر بالعين التي تنظر نحو أورشليم وقال لكم تنظر ناحية القدس، فتبسمتْ سروراً.

- أعرف خاصة - وإن كانت السيدة سكينة فؤاد قد كتبت في أهرام يوم الخميس الموافق ٩٩/١١/٢٥ تنبه إلى أن هذا الهريم فكرة ماسونية محفلية، وكان هذا قبل القيام بالألفية ولكن لا أحد يسمع من ينادي، ولهذا أعطونا حرية النباح أقصد النداء،

- ثم كيف صارت مادلين تركية؟

– كان هذا من عمل المبرح ليبعدك عن من صنعت وتكون له أمي بلا شريك

– تركيا اختيار صعب

– أنجبتني أمي علي شبكة الإنترنت المغربية فمهدوا لي الرعاية الكافية وأطلقوني بعد أن علمتني اليهوديات هناك في المغرب كل فنون نساء بنى صهيون، وطقوس المحفل الماسوني، وكان الهدف التالي أنت. ولأنك صاحب أكبر عداء لكل ما هو صهيوني فكان لزما علينا أن نقدم لك خدمة ممتازة من عمل يدك فانطلقتُ على شبكات الإنترنت أوزع مؤلفاتك وقام الفريق المنتظر الإشارة بتغطيتها نقدياً وإعلامياً، وكنا قد رتبنا مسألة القبض عليك، ومن عدائك السافر للصهيونية قالوا أنك تعرقل مسيرة السلام،

لهذا رتبنا أن يفعل عباس ما فعله بالوليمة، لندين روايتك (كائنات هشة لليل) حتى يكون هناك مبرراً قوياً لتلفيق قضية لك ولكل المثقفين الغير مدانين بعلاقات مشبوهة لتكون لهم ذلّة حتى إذا ما أتى وقت التطبيع لا نجد معارضاً، ولأنك تريد أن تكون شهيد صدقت، وأصبحت في سجن القلعة وكانت الحملة التالية غير الحملة النقدية.

ترجمت كل أعمالك لكل لغات العالم، ومن حصيلة الترجمة تم عمل الجائزة المادية لك وللاحتفال، وأخذنا نصيبنا، وأنت أو وأنتم لا تعرفون شيئاً، ثم تم ضخ حملة التشهير وحقوق الإنسان، وأصبح العالم يعرفك وينادى بإطلاق سراحك، فاستحققتَ جائزة السلام هذا العام، وهاأنت تأخذها، فهنيئا لك

قلت: صارت كالسم ... من مالي ولا يهنا لي؟

هذا عمل لا يقوم به إنسان، هل خلتْ قلوبكم من الرحمة؟

لماذا إفساد كل ما هو جميل؟

لا تدخلون التاريخ إلا مطرودين، وعصاه، وزنادقة، وسفلة حتى في خطابكم مع الآلهة؟

– زمن النصح والترحم والمسكنة قد ولي، نحن دائما في زمن الذبح والعالم بين أيدينا

– من أنتم؟

– أعداؤك الدائمين – هذا قولك – هل تنسى ما قلته لإذاعة (mbc) عندما سألتكَ، "لماذا كل هذا العداء وأصحاب القضية قد رضوا بالحل وعاشوا معهم بتعاون تام بمعني تنفيذ كل ما يريدون. فلماذا تبقى أنت حجر عثرة في الطريق؟"

قلت: أعيدوا إليّ ثماني سنوات من عمري عشتها في الخنادق مؤجلاً كل أحلامي وأمنياتي ومستقبلي، وتأجيل عمر أولادي، وحرماني من كل شيء إلا المعيشة في ملجأ كقفص القرود، والخوف والحذر الدائم والرعب، وستة وثلاثين شهيداً من أهل قريتي هذا غير ثمانية وتسعين شهيداً قبل ذلك، مستعد أن أعدهم لكم من دمع عيني فرداً فرداً وأذكر ملامحهم، وثمانية من عائلتي، و إحدى عشر من أصدقائي،

أعيدوهم أحياء وردوا الزمن الذي مضى من عمري وأنا أتنحى فقط من طريقكم. أما الصلح والاعتراف.. فلا

– نعم هذا ما قلته وليس هناك غيره

– من قال ذلك، كل شيء ممكن، وسقف العالم يتغير، وأعداء اليوم أصدقاء الغد، وإذا كان حديثك يعجبك فتذكر أن الشهداء ليسوا إدانة لأعدائك ولكن لحكامك أيضاً، فالقرار قرارهم، فلماذا تحمّل غيرهم كل المسئولية؟

– إننا كنا ندافع عن أنفسنا ونرد عدوانا بربريا يرتكز في أرض مجاورة وتربطنا بها لغة ودين وعلاقات فكيف أترك هذا العدو يهددنا؟

– لم يهددكم ولكن كان وحيداً وسط غابة من الكراهية،حوله مرض يحاصر الجسم السليم.

– إذن لابد من بتر المرض.

– نعم.

– وبما أن المرض عارض فلابد من بتره لمصلحة الجماعة.

– نعم.

– وهم المرض العارض الموجود كخلية سرطانية وسط الجسد العربي الكبير، فلابد حسب كلامك من بترهم نهائياً.

– لا تستدرجني فلهم من الحق التاريخي في المكان مثل ما للآخرين.

– كسكان عرب تختلف دياناتهم كما يشاءون، ولكن أن يتميز أضعفهم ويبنى دولة على هذا الأساس.

– تذكر أنهم الأقدم و أنهم ليسوا الوحيدين الذين أقاموا دولة علـــى هذا الأساس.

– هذه قضايا مغلوطة ولكِ أن تفهمي.

– لا تضيع الوقت أمامنا عمل كثير، والآن لك ستة جـــولات فـــي أوروبا، والشرق الأوسط ،والأدنى، وتنام الآن لنناقش البرنامج.

– أخاف أن أسافر أثناء نومي .. و..

– ربما نلجأ إلى هذا في بعض الحالات التي قد لا توافق عليهـــا، والآن إلى النوم وسأمر عليك بعد أربعة ساعات للذهاب إلـــى الغـــذاء فلقاءات تلفزيونية، ثم مناقشة البرنامج.

لما حاصرتها بالأسئلة حصار اليائس قالت: أنت الجاني على نفسك جهز نفسك، لقد أجلت هذا المشوار قدر طاقتي ولكنك تلح.

تحركت بنا السيارة في طريقها خارج (؟!) لا أعرف – ومن قال لا أعرف فقد أفتى، وأنا قد أفتى بعدم المعرفة – كنا عصرا، وكانـــت الشمس خلفنا باهتة، في ضاحية ريفية كانت تمرق الســـيارة، مشـــوار طويل أنا فيه غريب والريح تكنس الشوارع النظيفة، وأشجار جميلـــة وعذابات بالنفس، ما الذي يمكن أن أراه، خطفوا أحد أولادي مثلاً؟

دارت السيارة عدة دورات ثم مرقت من تحت كـــوبري وتهـــادت ووقفت أمام إحدى البنايات ونزلتْ قلت لابد أنني سأراه، تسلمتْ مـــن الداخل الذي لم أدخله سلسلتين وشريحة ممغنطة – من أين عرفتُ أن الشريحة ممغنطة، ليس من باب أن المؤلف هو العليم العارف ببواطن

الأمور ولكن ببساطة لأنها قالت لي: لا تلمس أحد السـطحين لأنهـا ممغنطة فقط، هل ارتحت وارتاح المؤلفون قليلي الخبرة؟

تحركنا واعتدل الطريق بنا وسط غابات كثيفة مدلهمة كـالهموم، ودخلنا مناطق خوف غامضة كبقع مكشوفة من الأشجار بالغابات حتى واجهنا كلاب وحراس وفهود، توقفت وأعطتهم سلسـلة واحـدة ثـم تحركنا وواجهنا بيتاً ريفياً صغيراً أعطينا حارسه سلسلة أخـرى ثـم توقفت السيارة تماماً ونزلتُ، ووضعت الشريحة بالباب ففتح البـاب، هو لم يفتح ولكن سحب داخل الحائط، واجهتنا سيدة، تبادلتـا كلمـات وصعدنا إلى الدور العلوي،

كان يلبس منامة وعليه روب ثقيل التفت.

عشرون عاماً برزت فجأة من وسط الظلام، طـق نـور بعينـي، أضاءت المناطق المعتمة تماماً ليس هناك ولا هنا أي مجـال للشـك، كان منحنى إلى الأمام والشعيرات البيضاء قد احتلت رأسه، واجهني.

– سيف !!

لم يقل شيئاً وظل واقفاً بعيداً عنى، عشر مرات أجلد فـي سـجن القلعة أنا وزملائنا ولم نكن نعرف من الذي يقـدم هـذه الاعترافـات التفصيلية فقد كان الحبس انفراديا، إلى أن خرجنا فقال لنا المحـامون، بعد خروجي بفترة قابلته في شقة التنظيم في شارع أمين سامي خلـف روزاليوسف بجوار عربة الفول، وكما هي العادة وجدته هناك وكنـت ألقاه أول المتواجدين قبل الحبس،

قلت له: أهلا يا سيف

قال: طبعاً سمعت الكلام، أنا مظلوم وهؤلاء مغرضون، وطبعاً إذا الواحد تعب من التعذيب فيقول أي كلام يريحهم ثم ينفيه في النيابة.

قلت له: كان هذا في أول القبض عليك لكن لماذا بعد ذلك عندما كنا نخرج من السجن للتحقيق كنت أفاجأ بأشياء لا يعرفها أحد إلا أنا وأنت.

قال بحدة: لم يحدث والله العظيم، قل مثلاً واحداً.

قلت له: لم يعرف أحد موضوع صباح إلاّ أنت، ولم يقابلها أحد معي إلاّ أنت، فمن أعطى لهم أوصافها يا أستاذ، من قال لهم عن علاقتي بالممثلة (س) أنت طبعاً.

قال: أنت تعرفني لا يمكن أن أفعل ذلك هؤلاء هم الذين أبلغوا عنا حتى يظهرون أمام الممولين أنهم يعملون ونحن الذين قاموا بتجنيدهم، ولا وطن ولا دياولو

قلت له: من الآخر ماذا تفعل هنا؟

قال: ألم حاجاتي لأني مسافر الكويت، في الصحافة.

قلت له: أرجو أن أعود فلا أجدك.

وتركت له الشقة ساعة، ثم عدت وجدته مرمي على الأرض لا يرد ولا يصد، نقلته إلى القصر العيني كان لابد له أن يفعل شيئاً يداري به عورة فعلته فحاول الانتحار فأنقذته بنقله إلى القصر العيني

وانتظرت حتى أفاق ثم تركته ولم أره إلاّ الآن، لأنه على رأى ستي أن المشرحة لا ينقصها قتلى، واختفى سيف وعرفنا أنه سافر إلى الكويت.

تقدمت فاتحاً ذراعاي ناسياً الكرابيج التي شققت جلدي فدخل بعد تردد في حضني ثم ارتعش وبكى قال:

– أنا أعرف فضلك عليّ إذ أنقذتني من الموت، وقد علمتك الكومبيوتر والدخول إلى المناطق المجهولة كما أعطيتك نسخة من تقرير شركة لوكهيد باسم المرتشين من أحزاب المعارضة والشخصيات العامة.

– دعنا من هذا الكلام أين أنت من أعوام طويلة.

بكى بتشنج، فقالت: جئنا من أجل هذا، وليس من أجل الذكريات.

تمالك سيف وقال: نعم كان متيما بجمال حمدان، وسيد كريم، ويحي حقي، وكان يقول هناك فرق بين اليهودية كدين سماوي وبين الصهيونية كحركة استعمارية مرتبطة بالمحفل الماسوني، نعم هو يكره اليهود وكان يقول لو حذف من التوراة القصص الشعبي والتشريعات لما بقى إلا حكايات إنسانية وأن كتبة التوراة تتراوح أساليبهم ما بين الشعر في نشيد الإنشاد، وما بين كتاب الفضائح في راعوت، وراحاب، وكان يسانده نجيب سرور وعبد الحميد يونس و زكريا الحجاوي. كما أنه كان يميل كأبيه إلى الإخوان المسلمين، وصديق شكري أحمد مصطفى، كما كان يعرف جهيمان العتبى، وكثيراً جداً مما قلته عنه صحيحاً.

لم أندهش فقد رأيتهم ينهارون ويعترفون ويخونون ويعملون مع البوليس ولكن كان سيف محطما فاحتضنته فقاوم ثم بكى.

انتهى الكلام فتم سحب سيف ولكنه وقع في حضني وارتعش فنزعوه منى ولكن بقيت دمعته سوطاً على ظهر يدي.

عدنا بالسيارة ولم أرى الطريق، كنت أحلم بالقاهرة

هل يمكن أن يكون الإنسان ضعيفاً إلى هذا الحد؟

قاومت كثيراً تحت سياط التعذيب وكنت أتذكر (قاومت الاستعمار فشردني وطني) وأتذكر وأعد من الأرقام حتى يغمى عليّ، ومرة أتذكر ما قاله عنترة حين سؤل كيف تهزم عدوك دائماً؟

قال: نتبارز حتى تتكسر النصال على النصال ثم نتلاكم ويمسك كل منا بصاحبه فآخذ إصبعه تحت ضرسي ويفعل هو مثلي فأقول من شدّة الألم سيصرخ هو أولاً وأشدّد الضغط بأسناني على إصبعه حتى يصرخ فيفلت إصبعي فآخذ بجماعه وإصبعه تحت ضروسي فأهزمه، أتذكر - قد تنصركم غمضة عين صبر -

ولكن كيف أقوم وأنا مربوط اليدين من الخلف معلق على الباب والباب بين جسمي وذراعاي، ثقل الجسم كله على الأكتاف، الألم، الخدر، تحس أنك تسقط منك وتروح فتفتح عينيك وأنت مشلول اليدين، صرح طبيب المستشفى بتحويلي إلى العلاج الطبيعي بالقصر العيني، ثم في عين حلوان، كنت في عربة الترحيل التي تنقلني مربوط من يدي المشلولتين أتذكر بدر شاكر السياب:

إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون.

أيخون إنسان بلاده؟

إن خان معنى أن يكون فكيف يمكن أن يكون؟

الشمس أجمل في بلادي من سواها...

كانت الشمس تفرش رمال طره وكوسيتكا والمعصرة وحدائق حلوان، وبعض الزراعات الخفيفة في الصين الشعبية أقصد دار السلام.

كنت أقول في سرى للجنود والقائمين على أمر التعذيب أنتم ضحايا أيضاً ليتهم يقرؤون أو يشاهدون مسرحية دماء على ملابس السهرة لدكتور بالمي والتي تسمى القصة المزدوجة لبالمي، أسامحكم يا أبناء مصر ويا اخوتي ولا أسامح المصير الذي رمى بكم هنا لتصبحوا جلادين،

تلك هي القاهرة بحلوها وحلوها فالحبيب ليس له مر.

فقط تأتى على البال هذه القاهرة بنت الذين، فقط كانت القاهرة تضم جلسات جميلة لا أنسى يوم قال نجيب سرور أن هنري ميللر هو عنوان أمريكا الجديد وأنها بنشر رواية مدار الجدي والحملة التي عليها توسع من دائرة قرائها ثم توصل رسالة وهى هاهو المجتمع الأمريكي الحر من كل قيد، افعل به ما تشاء ولكن التزم بالضرائب والتصويت وبعيداً عن السياسة المؤثرة كله مباح، هذا بخلاف فرانز كافكا الذي كتب – أمريكا – من باب تشيوء الإنسان وسط هذه الغابة

الطاحنة، وهناك فرق بين الكتابتين، ميللر يكتب من باب الفتنة بالمجتمع الذي يعلن في نهاية الرواية أن أمريكا موطنه، أما كافكا فيظل ذلك المشرد الفقير الذي يقهر طردا في أمريكا، وقد أهدانا الدسوقي فهمي في روايات الهلال الترجمة الرائعة والأنيقة لرواية أمريكا لكافكا.

كانت البلاد تخرج من تحت إبط الأشياء نازحة معها وحولها همــاً ثقيلاً، وداخلة في دوامات من التوهان والدوخان مغلفة بــدخان أزرق وجحوظ في العيون واتساع في إنسان العين، لذلك صــعب عليهــا أن ترصد الذي أمامها أو أن تحلل ظواهره؛ وبــالطبع اســتحال عليهــا الغوص إلى أبعد من السطح؛ لذلك ظلت تسبح في عمــاء المجهــول وترى المصادفة قانونا لكل شيء.

لاحظَ قبل ذلك أن الشوارع كانت قد انتظمت واتسعت واستقامت، وأن المنازل بحوائط زجاجية عبارة عن حجرات نوم ودورات ميــاه، وصالات لهو، وأن هناك إيجار لمن يستعمل المنازل، وإيجــار لمــن يتفرجون من خلال الحوائط، وأن العمل منتظم ويجرى على عشــرة أقدام وعشرة سوق في جميع المدن والقرى كأحد المشروعات القومية الكبرى.

كما لاحظ انتشار الصيدليات ومحلات الملابس الداخلية (التي فهم فيما بعد أنها هي الملابس فقط وليس هناك غيرها) في مداخل المنازل.

ورأى أن الجامعات ليست المكان الطبيعي والحقيقي لنيل الشهادات التعليمية، وأنها ليست وثيقة تعليمية مؤهلة للعمل حتى في بلاد الكلاب، وأن هذه الشهادات لهز الرءوس فقط، فيسأل أي صاحب عمل هل هذه لك؟ فتنبسط وتقول في نفسك جاء العمل فتقول له بكل سعادة نعم، فيهز رأسه ويقول لك: آسف.

وبالتالي فالحاصل عليها غير قادر على فهم الحياة أو التعامل معها، وأن هناك قانون السوق له لغته الخاصة ومسمياته الغريبة، بدءاً من (كرنب زبادي ... احلق له، وترى له ... وفي الهجايص ...)

وهذه لغة جديدة لطبقة جديدة هذه تجلياتها، وتعبر عن مكان ومجتمع معين، يحكم الآن كل شيء بدءاً من قوانين السوق والجات، والخصخصة، وإنقاص حريات الشعوب واستقلالها، مع ظهور ظاهرة الخارتي والخارتية للقيام بخدمات السياح، من أول تغير العملة والفرجة على الآثار حتى ممارسات الجنس الفردية والجماعية والمخدرات وما إلى ذلك، وهذا ليس بعيداً عن السياسة والاقتصاد والمنح والأبحاث وما إلى ذلك...

كما أنه سمع عن دول تؤجر مفروشة، أو يطرد منها أهلها والأسباب كثيرة وغير مقنعة، كما لاحظ أن أساتذة الجامعات ليسوا

قريبي الشبه بمن تعلم على يديهم، وأن الموجود منهم إما مات أو متقوقع أو يرطن برطان العصر أو يكلمك عن موضوعات غريبة، وأصبحت له اهتمامات غريبة وإذا لم تصبح واحداً من هؤلاء فستصبح (جمال حمدان) إما معزولاً أو مكتئباً أو منعزلاً أو مهملاً، وكأنك تعيش في مكان لا تعرفه ولا تعرف لغته.. وأنت أول قربان للطاعة سيقدمونك ثم تمتلئ الصفحات بمآثرك ليس لشيء إلا أنه احتفال بموتك...

انتبه كذلك أنه يرى كل هذا وهو غير نائم وغير يقظ، وأنه منذ زمن طويل لم يحلم فقد انقطع عنه الحلم منذ أن قال له أصدقاؤه أن الحلم من بقايا التخلف لأنه تعويض نقص الواقع ولا يحلم إلا العاجز، فهل معقول أن يصبح عاجزاً؟

لهذا فهو لا يحلم حتى لو كان يحلم.

لاحظ أن أماكن كثيرة في أطراف البلاد بمساحات كبيرة مأسور بها كميات من البشر الذاهلين الذين يشبهونه تماماً، كما أن الشيء بالشيء يذكر، تذكر أيضاً أن نجوم إدارة علاقات الدول ونجوم التلفزة هم من دارسي الباراسيكولوجي، وأبطال علم الاجتماع والنفس، فهم نجوم التبرير والكذب والارتداد والشيء ونقيضه، كما لاحظ اختفاء كتب بعينها من مكتبته مثل (فجر الضمير – هنري برستد، مصر القديمة – سليم حسن، قصة الحضارة – توينبي، الأواني المستطرقة – أنديريه بروتون، وقصة العلم، العهد القديم، القرآن، والسنة النبوية، والبخاري، ومسلم، والموطأ، والأم، والتفسيرات القرآنية كلها)

كما أنه كلما راجع معلوماته اكتشف أن كل المعادلات والمعلومات بها قد اختلت تماماً فمثلاً:

لم تعد هذه المسلمات تتشابك لتعطى نفس النتائج الســابقة المــال، السياسة، المافيا، الجنس، الجمال، العلم الثقافة، الآثار، النظم السياسية، الديمقراطية، الحريات، الحكم، الخضوع، الشذوذ، البزنس، الدين مــع أي شيء وضد كل شيء، ونحن في عصر خطط له ليكــون ســادته شواذ، ويصبح للشواذ كل شيء، ويحاكمون حتــى تصــبح الكلمــات والصفات متداولة ليست غريبة عن كل الناس ولفظ يســتعمل بشــكل يومي، ثم تأخذ القضية براءة وربما تندرج تحت الحريات وســلم لــي على المترو، فلم نستطع لا أنا ولا أنت أن نفلت من هذا الكابوس وها أنا ذا أكتب في نفس الموضوع وأنت تقرأ، والجريدة الموجودة أمامك الآن بها نفس الموضوع، أي حصار يا ربى وسط هذا المحفل؟.

حاول أن يفهم اللغة الجديدة أو يقعد لها ولكنها كانت كالطبقة التي تتكلمها وتحكم كل شيء قاعدتها أن تكون بلا قاعدة.

كانت هذه الصورة تكتمل رويداً رويداً وكلما قاربتْ على الاكتمال إما تصاب الجنون أو البكاء، أو لا شيء وتضحك، وأن حالات البقــع البيضاء التي تصاب بها ليست مرضاً في عينيك؛ ولكنها أجزاء متآكلة من موجودات الذاكرة؛ وأن أي توقف في وسط هذه الموجودات سوف يؤجل بالتالي معرفة باقي الموجودات أو تذكرها، وستضرب رأســك في الحوائط السوداء، وربما من شدّة محــاولات الإخفــاء لمعلومــات

وأسرار معينة تستطيع الذاكرة أن تعثر على آبار عميقة لتضـــع بهـــا كنوزها ثم تنساها؛ فيترك مكانها فراغاً وبالتالي تنهار السطور والجمل والمعلومات والمعاني كلها دفعة واحدة، وأن المحاولة الوحيدة لاستعادة الذاكرة هي استعادة تكرار الحكايات الشعبية لنشأة الحيـــاة، والتـــذكر الدائم لقصص الجدات والجدود الأوائل، والتاريخ الشعبي المدون مـــن قبل الشعب، وليس بيد الحكام، إن محاولة تذكر اسم ما أو كلمة معينة كمحاولة النظر تحت سطح الماء؛ فقد تراوغك الكلمة قليلاً ثم تبين لك فتتذكر كل شيء دفعة واحدة، وقد تكون بين يديك ثم تنزل قليلاً قلـــيلاً إلى تحت السطح وأنت ترصدها وكلما حاولت الإمساك بها راوغتـــك، وأفلتت من بين عينيك، أو تأتى بـــين يـــديك متآكلـــة لا تســـتطيع أن تستنطقها معانيها؛ وما إن تتأكد مـــن عـــدم جـــدوى محاولاتـــك إلا وتتسرسب من بين يديك الحروف والكلمات نازلة تحت ماء الصـــمت ولا جدوى،

كل هذا ما نتعرض له ونقول الشيخوخة أو تجارب السجن، ولكنني خرجت من كل هذا قادراً على التذكر ولم أجد تفسيراً لما أنـــا فيـــه. وتعلم تماماً أن انسجام مجموعة في حالـــة معينـــة بقســـوة الانتمـــاء وانتباههم للفكرة التي اجتمعوا عليها، يجعلك مهما سعيت لوثوقهم بـــك غريباً عنهم تماماً، ويزدادون تباعداً حتى لو كنت تعمـــل لمصـــلحتهم فإنهم سيتشككون فيك، فليس عليك إلا أن تتـــرك رســـالتك وترحـــل، ولكنى عندما حاولت ترك الرسالة كادوا يقطعون يدي ثم سمموا دمـــي بما جنته يدي!!

(٣)

(كلما يحدث لي ما يعكر صفوي أعود إلى أغاني التراث وأنشد من أول الألفية ودلائل الخيرات ونهج البردة، ولما بدا يتثنى، ويا غصن نقى مكللا بالذهب، و هلم جرا..

وفي أحد الأيام وكنا في رحلة إلى أسوان، وكان معي الشيخ سيد محمود المنشد الجميل؛ وكانت الرحلة ممتعة مع هذا الصوت الجميل وغارقين حتى أعلى شوشتنا في الطرب، وعدنا إلى القاهرة ولصعود الطالع ذهبت إلى المقهى لأدخن الشيشة وأشرب الشاي الجميل، وإذا بصوت غريب نصف نائم ونصف مسموع وبالتأكيد لا علاقة له بالغناء وحتى ولا النواح:

العشق ده لعبة قط وفار

اخسرها يا قط إذا دمك فار

روح وطي النار

أرمى السنار

واتقل دا القلب ح يشتق له

وتلحلح والحق واحلق له

سقسق له وسوق واسرق عقله

الدنيا حاوريني يا كيكة

إن كان في غرام أو بولوتيكه

صنع التلاكيكه

شغل التكتيكه

وتلحلح والحق واحلق له

سقسق له سوق واسرق عقله

قمت واقفاً

- يا معلم بلاش الكلام ده أرجوك

- مش فاهم، تقصد بلاش صمولة؟

- بلاش غنا خالص

- فيه ناس غيرك في القهوة

- الحساب

– لا، كفاية انك تمشي، الناس من ماركتك خلصت من زمان.

سرت من شارع القصر العيني ومن أمام روزاليوسف متجها ناحية المبتديان، وعندما انعطفت لدخول الشارع من جانب مدرسة التجـــارة بنات، هدهد أذني صوت صباح فخري

يا مال الشام والله يا مالي

راح اللي راح يا حلوة تعالي

تسمرتُ في مكاني ثم تحركتُ ناحية الصوت، كان ينطلق من شقة في الدور الثاني فوق محل بقالة كبيرة على الناصية المقابلة، فنظـــرت إلى أعلى كان البيت من نظام البيـــوت القديمـــة والشـــبابيك طويلـــة ومفتوحة على الآخر فرجعت خطوات إلى الخلف وشاهدت الأجـــزاء العلوية من لوحات أكاد أعرفها تماماً، وبجوار محل البقالة يوجد مقهى بسيط جلست وطلبت الطلبات فقال لي الرجل (عم جميل) وهذا اسمه

– الأستاذ صحفي في روزا؟

– لا

– طيب ... غاوى سمع

– يا ريت

دخل إلى داخل المقهى وانطلق صوت فرقة الموسيقى العربية ثـــم فرقة أم كلثوم، كان الصوت يتماوج فيحملني إلى ذاتي فأخـــذت أردد اللحن بصوت خافت ثم بصوت عالي ثم انطلقت في الغناء ملتحماً مع الفرقة وأنا أجهش بالبكاء.

لست أدرى كم مر من الزمن على هذا الحال ولكن بعد فترة لمس يدي فانتبهت، أشار إلى حوض ماء عليه صنبور، غسلت وجهي وعدت فوجدته قد أحضر لي كوباً من الشاي وبدّل الشيشة بواحدة أخرى نظيفة بماء رائق،

وقال هذا زمن ومضى:

امتى الزمان يسمح يا جميل

وأقعد معاك على شط النيل

كان المقهى بزبائن قليلة وكلهم في حالة استغراق إما في الجريدة أو مع الصوت المنتشي بالغناء، وكل واحد لا ينظر إليك ويحترم وحدتك..

دخل عليّ المقهى: ازيك

- أهلا

- سمعت بالموضوع؟ ربما لم تسمع، مازلت منهي عقدي مع العمل من أربع سنوات والنقابة تصرف لي شيئاً رمزياً.

- افتح العيادة

- لأ .. أنا متفرغ لهم، الود ودهم أن أفتح العيادة وأنشغل عنهم ثم يلفقون لك القضايا، هم يعملون على الأنتيسيكولوجي، وأنا أعمل على الباراسيكولوجي، عندي ميكانزمات دفاع قوية جداً، ولولا هذا كنت انتهيت من أربع سنوات وهم يرسلون الأولاد يلعبون تحت الشباك من الظهر حتى المغرب بقصد ألا أتمتع بالنوم، وبالليل يغرون الشباب

بالزعيق واللعب تحت الشباك، وأخيرا زرعوا لي تحت الشباك بـــائع قصب وأنا لا أحب القصب، كل هذا مقصود، المســـألة يـــا عزيـــزي اللورد عبارة عن تنسيق على الفساد بين أجهزة كثيرة في الدولة، وقد كتبت مذكرة بهذا قدمتها للقضاء، وقد دخلت بالفعل تـــاريخ القضـــاء المصري قلت فيها:

(إن دولاً كثيرة قد سبقتنا في الحضارة والتقـــدم انهـــارت بســـبب الطابور الخامس، الذي استطاع أن ينسق للفساد بين أجهزة الدولة، في الظاهر من أجل مكاسب مادية بسيطة مستغلاً حاجة النـــاس وضـــغط الدولة من أجل البناء، وفي الحقيقة من أجل تقويض وهـــدم الدولـــة، وهؤلاء يتبعون نظرية السوس، وهى النخر في صـــمت فـــي قـــوائم الأركان حتى يأتي يوم تفاجأ بالانهيار التام يحاصرك من كل مكان.)

أنت لا تعرف، أنهم ضغطوا على صاحب البيـــت حتـــى يخـــبط برجليه ويعمل أصواتاً عندما ينزل لصلاة الفجر حتى لا أنـــام، كنـــت أبقى يقظاً وأخرج لهم لساني قائلاً بصوت هامس: أنا فاهم، وصـــاحي يا حلو

ثم أخذوا يطلبون منى قفل البوابة بالليل، وكل واحد داخل أو خارج يخبط على باب الشقة أو الشباك لفتح الباب بحجة أنني أسكن الـــدور الأول والحقيقة حتى لا أنام.

وأنت تعرف ما معنى أن تظل مستيقظاً دون حصول جسمك على راحته، هنا لابد أن تكون أذكى منهم، هم يجندون من حولك بالضـــغط عليهم من خلال مصالحهم، والناس ضعيفة ومصـــالحها فـــي لقمتهـــا

فيبيع العالم من أجل أن يظل ممسكا بحبل الحياة، وأنت أولاً وأخيـــراً الضحية.

– قلت لي أنك كتبت مذكرة لتفهم المسؤولين أن هناك من يعملون ضد الدولة، وأن هذا سيقوض بناءها، معنى ذلك أنك حريص على هذا الكيان (الدولة) وترى على الأقل أنه صالح للضرب على أيـــدي هـــذا الطابور الخامس، وأن هناك أمل من خلال وجهة نظرك (أفعالـــك – المذكرة) في هذا الكيان (الدولـــة)؟، فلمـــاذا لا تكتـــب إلـــى هـــؤلاء المسؤولين عن الضغوط التي تتعرض لها أنت بالإرهـــاق وصـــاحب البيت بالضغط عليه لإزعاجك؟

– أنا لست غبياً، لا تفوتني هذه المعلومة لقد كتبت إلـــيهم طبعـــاً وطلبوني في القسم، وبعد مناقشات طويلة، فأنت تعرف أن لكل فعـــل رد فعل مساو له في القوة ومضاد له في الاتجاه، طبعاً لن أحكي لـــك عن الإحراج الذي تسببت فيه للضباط وهم يناقشوني، وبعضهم كـــان باللباس الميري والبعض بلباس مدني ولكنى أشم رائحتهم، ويحفظـــون بعض المعلومات التي درّسها لهم بعض اليساريين من عشاق النظـــام، المهم قلت لهم أنتم أيضاً وسائل ضغط فأنتم تعرفون مثلاً أنني لا أحب القصب وأنني كاشف لكل هذه الألعاب وإن كنتم لا تعرفون فليس هناك داعي للبقاء في مناصبكم، تعرفون أنني لا أحب القصب فلماذا أتيـــتم ببائع قصب ليجلس تحت شباكي هل يا ترى عندما نحللها تبـــع علـــم النفس لن تكون في صالحكم فرمز الشباك الأنثى أو شـــذوذ الرجـــل ورمز القصب الرجل فإما أنكم تهددونني أو تريدون منى هذا، فمـــاذا تريدون بالضبط؟

ثم لماذا لم تطرد شرطة المرافق هذا البائع إن كان بائعاً، فإن كان بائعاً فأين رخصته ودكانه؟

وإن كان بائعا متجولا فلماذا لا يتجول ومقيم تحت الشباك؟

ثم هل تغيير النشاط لا يغير الرخصة؟

ولو أنكم تقومون بواجبكم لما احتاج صاحب البيت لقفل البوابة – إذا صدقنا كلامه –، وفي النهاية صاحب البيت رجل يصلي الفجر فأنتم شطار على كل واحد يستعمل فكره والورقة والقلم لكن ما دون ذلك، فعادى جداً.

هنا أسألكم سؤالاً: أيهما أخطر تجار المخدرات أم المفكرون؟

انبرى واحد منهم قائلاً: كله مخدرات.

قلت له: لكنك مضطر لتنفيذ سياسة ذلك المفكر إذا جاء إلى الحكم.

قال: نعم سيكون هو الريس.

قلت له: يعنى أنت تنفذ أوامر من يعطيك راتبك وملبسك، لأنه ليست هناك قواعد عامة للعمل

قال: توجد قواعد للعمل ولا نخرج عنها أبداً.

قلت له: فعلا هناك قواعد للعمل، لكن من يسمع لمن يقرأ؟

قال: إن أية تجاوزات تكون صدفة وغير مقصودة.

قلت له: يقولون أن الحياة بدأت بالصدفة المدهشة التي لا تتكرر، وفي نظرية "داروين" مناطق مظلمة لا تفسرها النظرية ولا صدفتها

فلابد من الخروج من المأزق بالصدفة المدهشة التي لا تتكرر، ولكـن الإنسان وضع لنفسه ولحياته قوانين منظمة، يسعد البعض أن يخترقها أو يضعون القوانين كي يخترقوها وهذه موروثات قديمة تـربط بـين الفحولة، الاختراق، القانون، الناس، السوق، أي شيء ..

قاطعني عكر منهم: الحياة خلقها الله بنظام تام كامل، لماذا الجري وراء هبل وسراب مثل الدول التي تريد عمل أبحـاث علـى الخليـة الضوئية لاكتشاف التلفزيون، وهو موجود. لله في خلقه شئون، ثـم أن الاتحاد السوفيتي الأم الرؤوم للعاطلين والدول النايمـة بـاع علمائـه وراقصاته ودخله الجينز والبيتزا والكوكاكولا، والنساء هناك العشـرة بقرش.

قلت له: هل توقف عن غزو الفضاء ؟

هل فك جيشه؟

هل قال أن هذه الحرب هي آخر الحروب؟

هل نادى بالاستسلام باسم السلام؟

هل منع فلاحينه من زراعـة القمـح للاكتفـاء الـذاتي وارتـبط بمعاهدات تحدد له مساحة المنزرع من القطن والقمح؟

الاتحاد السوفيتي كالكريم الذي أحس أن أحواله المالية لن تسـاعده على كرمه فقرر قفل مضيفته ولم يمد موائد الرحمن للـدول النايمـة، وكل واحد يعتمد على ذاته.

قال رئيسهم: لماذا لا تذهب إلى الاتحاد السوفيتي، ستكون مستريحاً.

قلت له: جندت نفسي من أجل الشعب طبيباً.

قال الرئيس: أنا مستعد أساعدك بالسفر إلى أي دولة في العالم.

قلت له فوراً: أمريكا.

قال: هات البسبور فورا، وقد أعطيته له اليوم

هنا ضاقت الأرض عليّ فنظرت إليه طويلاً فقال: مـــاذا أصـــاب يدك؟

– أبداً حادث بسيط.

– هل نسيت أنى دكتور، قل كل شيء عن الحادث.

– لقد ضَربتْ السيارة التي كنت أركبها عربـــة نقـــل بمقطـــورة، أخرجت جميع الركاب على الأرض من أثر التصادم وأكملت ســـيرها فوقهم، مات من مات، وأنا داست العربة على ذراعي الأيمـــن مـــن الكتف حتى الأصابع وتم تركيب شرائح ومســـامير بطـــول الـــذراع، وعمل أوردة وشرايين، وترقيع بعـــد اســـتكمال الضـــفيرة العصـــبية والعضلية ومازلنا في العلاج الطبيعي من ٢٠٠٠/١/٣

– بسيطة، المهم أنك تنام، خذ أوراقك واذهب إلـــى المغرضـــين يصرفون لك تعويضات بنسب

– من هم؟

– أنت تعرفهم، طالما ليس لك مواقف ضدهم فأنت منهم.

– الحمد لله رب العالمين.

– الجميع بلع الطعم، وقبل أن تكمل حتى الذين دخلوا المعـــتقلات، كانت لعبة سخيفة، لكن أنا سأحبس مدير الشئون القانونية.

– إذن هناك دولة وإذا حدثت تجاوزات فهي في داخل دولة يمكـــن بالحوار والمتابعة تصحيح التجاوزات...

– لم يخب ظني فيك .. أنت منهم، كم قبضت منهم حتى تراقبني؟

– يا أخي أنا بالمستشفيات من أشهر وكنت قبلها لمدة عامين فـــي الاعتقال فكيف سأراقبك؟

ـــ اليوم مثلاً، أنا أعرف أنني مراقب، فغيرت كل طـــرق ســـيرى لأعثر عليك تراقبني هنا.

ـــــ..........

– أنا سأشعل الثورة الإدارية، ثم ثورة صغار الموظفين ومصيركم المشانق.

وتركني وانصرف، فلم أغضب من كلامه ولا من خمسة أعوام لم أره فيها، ولكن لعنت أبو مدرسه الذي علمه وحزبه الذي نظمه.

***

كنت قد اعتدت الذهاب إلى المقهى القديم بالمبتديان حتى أعيش في خضم رحيق الزمن الجميل، وكان عمى جميل صاحب المقهـــى قـــد سجلني في ذاكرته.

– فيه لسه ناس كتير زيك كده؟

أحضر القهوة السادة والشيشة، وصباح الفل، صباح الورد وانطلق عبد الوهاب يشد قلبي للقدود الحلبية (راجع فتنة الأسر) يا ورد هـــوّن عليك، كان عمى جميل دائماً ينادى بصباح الفل مساء الورد وينظـــر إليّ ويبتسم ولكن عندما قال لي نحن كلنا أبناء (الطريق) ونبحث عـــن (السراب) أدركت فراسته وغرامه بمحفوظ، فابتسمت،

دخل علينا المقهى يرتدى نظارة طبية (أقصد فعلاً يرتدى ولـــيس يلبس فمنظره بها يرتدى) وقميص كاروه أحمر وشـــعيرات بيضـــاء هاربة من كبت طاقية صوفية خارجة من الجانبين والخلـــف، الوجـــه كالبيت القديم الذي تدرك قدمه من مسافة قوة الإبصار، والظهر طبعـــاً محنى لا يهم قليلاً أو كثيراً (وهل كان مهمـــاً أن تعـــرف أن الظهـــر محنى كنت ستدركها تباعاً)

– بلد غريبة!... بتسمع موسيقى عربي يا جميل

قال له عمى جميل: الأستاذ

مال عليّ: نتعرف

تعارفنا ثم داس على رقبة الموسيقى ورقبتي بالحذاء انطلق يحكى بلا رادع

- أنت لا تعرف أنه معذور جداً، تخيل لو عندك ولد أو اثنين قول أربعة يا راجل وتصرف عليهم، لابد أنك تهج وتطلع من هدومك، ولكنه مطلوب منه مصاريف يومياً لستين مليون شخص نصفهم لا يعمل أو يخطف ويجرى، شيء فظيع أكاد أصدق أنه يفرح عندما يحدث زلزال أو كوارث أو أزمات تخفف عدد المصروفات اليومية والماهيات الشهرية أو حتى نوفر ثمن الدخان، مثلاً عندما تبرع الناس لمنكوبي الزلزال بالبطاطين الجديدة، صرف لهم بطاطين قديمة من الجيش ووجدت البطاطين الجديدة عند عمر أفندي، وأنا طوال عمري لا أحب الأفنديات ولابد أن عمر أفندي هذا حرامي وإلا فقل لي من قبض ثمن هذه البطاطين من عمر أفندي؟

***

قررت الذهاب إلى الطبيب الذي يتابعني بعد خروجي من المستشفي، فالحادث تم من سباق بين السيارات في قلب الشبورة المائية وأنا في طريق عودتي من القاهرة وكنت أحضر ندوة عن عمل من أعمالي، وكنت قد عدت من رحلتي إلى لاهاى وقامت أجهزة الإعلام المرئي والمسموع بأكثر من الواجب وتحول كل المسئولين إلى ناس تتمنى خدمتي فلم أتعجب، في زمن أمنح به جائزة بهذه الطريقة، ويقلب عباس بفعلته الشائنة مجتمعاً بالوليمة فلا يوجد ما تتعجب منه.

***

(٤)

تعود الخيول الأصيلة للبر من بحرها

تعود العصافير حتما إلى صوتها

تعود الطيور وينفي المساء

هل تصدق، وخاصة حتما، سبحان الله حتما للقوة، شكراً يـا عـم نيتشه، لقد حررنا كل الأوطان من أول كوبا، والكنغو، واليمن، وسرنا مع نيرودا، ولوركا، ومايكوفسكي، وكل الذي منه تعب القلـب، ولـم يحدث إلا ما تريده القوة، وعشنا على أمل أن تلمع نقطة ضوء وسـط المتاهة، ثم أدركنا أن الحلم فقط هو الذي يمكن فيه أن ننشد الأجمـل والأفضل وصرنا ننتقى الأقل سوءا، كما تبحث في مزبلة عـن لقمـة خبز فتختار الأقل اتساخاً، ولكن كله من المزبلة.

هل كان بإمكاننا فعل شيء آخر؟

هل كان بإمكان الواحد منا أن يحمل سكيناً؟

وكم سكينا تكفي؟

إذن ليس غريباً أن تدان وأنت شريف – المسائل نسبية من أول هل هذا كلام معقول حتى تصل بيت ولادتها – كثيرون فهموا العصر، وما هو متاح فيه، ولكن ما هي حدود المتاح؟ مثلاً عندما تعرض عليك رشوة وأنت تحتاج الحسنة كيف يمكن التصرف؟، ترفض، طبعاً ترفض وبالليل تراجع نفسك وتقول لمرة واحدة، ولكن في الصباح عندما يتقدمون لك بالرشوة ترفض وتنتفض وتقدم الشكاوى في البوليس فتبرؤن منك ويطالبونك برد الشرف، وتنقل من عملك، ويأتي غيرك، وتسير مصالحهم كما يريدون ويشترى الذي جاء مكانك بعد شهر واحد العربة والشقة التمليك وأنت تنقل للأرشيف، فهل ما فعلته صحيحاً؟

– حتى لو كان خطأ فأنا لا أستطيع فعل غيره.

قال لي: أنت ولد فقر.

قلت له: يا معالي الوزير يكفيني باكو معسل بخمسين قرش، وكوب قهوة صباحاً، وكوب شاي بعد العصر، وسندوتشان فول وطعمية.

قال لي بعد أن قام واقفاً: عد إلى بلدك.

– هل صرت من بلد غير هذا؟

وأي البلاد تُشرد أبناءها؟

ولماذا بلا وطن أنا؟

صار معنى الوطن ملتبساً، ثم أي الأوطان يصلح لي، هل قامت قيامة العظماء وصرنا نحن أبناء البطة السوداء؟

والمجاهرون بالخيانة هم نجوم الوقت؟

قال لي الدكتور الجليل: الأدب أن نعبر عن العيب بأدب.

قلت له مثلاً أقول للص في الرواية: بعد إذن سعادتك يا باشا أنــت مرتشي وحرامي؟

فنتر يده في الهواء قائلاً: عيش واطرد هذه الأوهام، وإلا ســتظل هكذا ولن يتحملك حتى أولادك، فكر في مستقبلهم ومصــلحتهم، كــان يمكن لك أن تسافر، ولكن لا فائدة من الكلام معك.

ما فائدة الذهاب إلى الطبيب؟ فلأذهب إلى المقهى.

(٥)

- لماذا تأخرتَ..؟ وأين ذهبتَ؟

- ماذا تريدين أو يريدون منى؟

- هل أنتظر مكتوفة الأيدي حتى تعود؟

كان هذا فاصلاً من العتاب بعد استيقاظي من النوم، - لاحظ أن أسلوب المعاملة قد تغير تماماً وأصبحت الأوامر أوضح - *رغم عدم رضاي دائماً ولكن يبدو أن هذا مخططاً* حيث *ترتبط بهم فأنت نجم الحفل الذي لم يقبض أتعابه بعد والذي يعرف الجميع أنك قبضت الملايين، ويمكن أن ينتهي الأمر بمتشكرين ولا تأخذ من الفضيحة إلا المسح في السروال.*

قلت لها: نعم.

قالت: عليك بالصبر واتباع التعليمات.

قلت: ثم ماذا بعد؟

قالت: الكثير، زيارات ومقابلات و...

قلت: هل يمكن القيام بها بدلا منى، فهي ليست أهم من الجائزة.

قالت: لكن الزيارة للمعبد لا بد أن تـتم بكـل كيانـك واقتناعـك وإيمانك، فلا ينفع مع الإيمان شك.

قلت: إيمان بماذا؟؟

قالت باستغراب شديد: بالله ، والرسل موسى وعيسـى وهـارون وكل الرسل

قلت لها: هناك موقفان لا أفهمهما على مدى التاريخ أولهما ما فعله لينين برأس المال وتحويله من النقيض إلى النقيض من المنطق المثالي لعمنا هيجل إلى المادية التاريخية التي بلا صاحب، والثاني ما فعلتـه الصهيونية برسالة موسى عليه السلام.

قالت: كل ذلك مقصود فماركس فقير الحال تربـى تحـت كنـف "إنجلز" فلابد أن يرد الجميل لصديقه تحت دفع العاطفة فأهـدى والـد انجلز خطة اقتصادية لتطوير مصانعه وتلافي الصدام، ولو كانت هذه الدراسة أو النظرية للطبقة العاملة لكان اسم الكتاب الطبقـة العاملـة ولكنه كتب العنوان بما يقصد (رأس المال)، انتهت مهمة الرعاية ولكن دورنا لم ينته فدفع قيصر ألمانيا ملايين الماركات الذهبية لأنبغ دارسي ماركس واستطعنا أن نمهد لظهور لينين المحـوّر الأساسـي للفكـر الماركسي، ولما نوقش في هذا الاختلاف بينه وبين ماركس قال قولته التي يرددها أبقار الماركسية – إن ماركس لم يكن ماركسياً –

قلت: عرفت لماذا يقول الناس من شدة استغرابهم ... يا عمر.

ضحكتْ وقالت: طبعاً نحن المسيرين والمسيطرين على التاريخ من بدايته، إلا فترة البعثة المحمدية فقد خرج الأمر من يدنا ونحن نحـــاول إعادة الأمر إلى نصابه.

قلت لها: نعم، كيف ذلك.

قالت: سأحكي لك كل شيء بعد زيارة المعبد والحاخام.

قلت لها: لن أذهب.

قالت: لن أحكِ لك.

قلت: ولو.

قالت: مادمت لم تعرف المكان الذي سنذهب إليه؛ فلماذا تعـــارض مادمت لم تدخل التجربة.

قلت: الموضوع لا يحتاج إلى تجربة، اللهم لا تدخلني في تجربة.

قالت بحزم: أمامك عشر دقائق بدل ملابسك.

لست أدرى ما الذي حدث ولكن قلت في نفسي لا أحـــد يســـتطيع إجباري على عمل شيء حتى لو تم فهو رغم أنفي، وسواء رضيت أو لم أرض سيتم ككل شيء، فلأذهب حتى على الأقل لأشاهد هذا المعبد ربما يختلف عن الكائن بشارع عدلي.

***

شبكات من الاتصالات وبرامج مكالمات وشكل انسيابي يعطيك إحساساً بعدم الأهمية، يبدو أنني أدمنت أن أكون مهما، كل ذلك يتم في الوقت الذي تقوم فيه باختيار البدلة السوداء لك ورباط العنق الرفيع وتشرف على كل شيء حتى العطر، لا داعي للعطر، ثم يكاد الحذر يقتلك وفي كل وقت جرس من الأجراس الضخمة المثبتة على مزلقان القطارات يدق ساعة مرور قطار الحذر بين أضلعك متجهاً إما إلى أعلى فتحس أن روحك ضائعة ودماغك سينفجر من الصداع الناتج من عدم الفهم، أو يتجه إلى أسفل فتحس أنك مهدر الشرف والعالم يعرف ولكن الكل مشغول بغيرك، فتصير كالميت في يوم القيامة، شيء غريب كطلوع الروح يسيطر عليك ليس هو القلق، ولا أنت وصلت إلى اللامبالاة كالتي تم فضحها ولم يعد عندها ما تبكى عليه ولكنها قلقة، من باب لزوم الشيء، شيء كطين البرك رائحته نتنه وهو جثة تحتلك وتلبس جلدك ولكنك مستتيم تماماً لهذه الحالة، مهدر الشرف والكرامة أنت تعرف، ولكن المقاومة بعيدة عنك تماماً لا تكاد تلمحها، وتسأل نفسك ما الحكاية؟ لماذا الجري وراء الجوائز ومنذ متى أهتم بالجوائز أنا الذي لم أمنح جائزة واحدة في بلدي إلا جائزة حب الناس، بينما الجوائز تمنح للفئران والماعز واللصوص وكل شيء بالدور،

– أصبحت جاهزاً للزيارة.

– ولكنى أعرف أن المعبد من شروطه قبل الدخول أن تؤخذ المسحة.

– تؤخذ المسحة أثناء تقديم الولاء والطاعة في طقوس المعبد الماسوني، لكن أنت دينك كتابي، والمعبد لأتباع كتابين مثلك فما الداعي للفزع؟؟

– ليس هو الفزع ولكن ما بعد الفزع، وما الضرورة؟

– للبرنامج نظام وأنت لم تعترض على أي شيء من البرنامج إلى الآن وأنت تعرف كل شيء عن خطوات البرنامج كما سبق وأخبرتك.

– ولكنني اعترضت.

– واستمريت معنا، إذن بيننا عقد، والعقد شريعة المتعاقدين.

"يقول كريش[1] Kirsch تؤكد التوراة على التعامل مع العاهرات والانتفاع من خدماتهن، في سفر يسوع يرسل يوشع بن نون جاسوسين إلى أرض كنعان للتجسس على أهلها فقد نزلا عند عاهر تدعى (راحاب) عرفها النص الأصلي أنها بغى ليس لمرة واحدة، بل لمرات كثيرة – فأرسل يوشع بن نون من شطيم رجلين جاسوسين سراً قائلاً: اذهبا انظرا الأرض وأريحا، فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب فأضجعاها هناك – فقال يوشع بن نون للشعب أمام أبواب المدينة أثناء فتحها (رحاب الزانية فقط تحي هي وكل من معها في البيت لأنها خبأت المرسلين الذين أرسلتهما .. فدخل الفلاحان الجاسوسان وأخرجا رحاب وأباها وأمها .... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها)"

قلت إذن سيحرقون كل المدن والقرى، أخذني التفكير هل لابد أن نعيش بجوائز وصحافة وكلمات نفاق؟

---

[1] باحث في العهد القديم

كنت أحسب فقط أنني لا أستطيع أن أعيش بعيداً عن النساء والغواية لأننا خلقنا وأتينا إلى هذا الوجود ونحن غارقين في دمائهم وخرجنا من داخل حشاها فلابد من العودة إلى المهد ولو من باب الزيارة.

لماذا نريد أن ننفلت رغم أننا نعرف أن الانفلات انفلات ولكن نتغافل عمداً بابتسامة متواطئة من أنفسنا، كدس الكلام المغطى وسط الكلام العادي للنساء فتفهم الرسائل التي تعقبها الابتسامات المتواطئة وتكون بمعنى – أنا فهمت فكيف لي – أو بمعنى جاهز – لست أنت الوحيد الذي تفعل هذا فكثيراً ما ضبطت الكثيرين ودسست عينك قبل الابتسامة، ولابد أن الدول تفعل ذلك فالذي يقوم بالفعل في كل الأحوال إنسان، وإلا فما تفسيرك للذي حدث معك؟

يا أخي ارحمني منى كلما هممت بالانصراف من أمام عتبات ذاتي ترجعني لها، لابد من الخروج خارج هذه الدائرة اللعينة.

لابد أن أعرف أن مشنقتي من صنع يدي وأن أعمالي هي التي صنعت مشنقتي.

يعنى لو قام واحد من بلادنا بكل ما صنع معي بمعنى نشر الأعمال والتسويق كنا لا نقع في هذا الحيص بيص، ولكن كل واحد يفتح دكان نشر من أجل الإبداع الأجمل بعيداً عن الركاكة ويأخذ رأيك من أول موقع الدار واسمها ورأيك في الناس والإبداع، ثم يفعل عكس ذلك بحجة أن هؤلاء في الصحافة والتلفزيون كل يوم وكابسين على

صدر الإعلام ومع ذلك لا توزع أعمالهم ولكن تستمر الدار في طريق التجارة بعيداً عن كل ما قيل عند إنشائها!!

لكل هذا هربت إلى قريتي ولكن لن يتركوك تهرب بجلدك فلابد أن تكون لك قضية تهدد بها حتى لا ترفع رأسك بإبداعك الجميل أو حتى بالكلام، المسألة ليس لها طرف واحد ولكن عدة أطراف، فمثلاً أنا مبسوط أن أحداً في هذا العالم سمع صوتي ولكن الثمن أبشع من التصور، أنا أكتب لمتعتي الشخصية فرحاً بالكتابة كالمريض النفسي الذي يريد أن يبوح ويستريح تماماً بعد البوح، فلماذا بوحي أنا بموتى؟

ولكن المسألة ليست في الراحة ولكنك تزداد متعة أن تكتب قلب الحياة التي تراها، تغمس يدك في دم الجنين وتشكل ملامحه كما ترى وتحب أن يكون وليس كما هو كائن، غير عابئ بالاعتراضات ولكن تحكمك هندسة الحركة وانبثاق الحياة وجماليات المشهد وإيحاءات توصيل الرسائل بحسب فهم كل فرد و حسب قوة خياله وثقافته – لكن ما قيمة كل هذا وهو قابع في درج مكتبك، ما قيمة الجوهر وهو مطمور في القاع بينما الطحالب والريم والقش يطفو على السطح؟

ليس هذا فقط، ولكن تباهى بنقصانها كالهلال على رؤوس الأشهاد!

ويقدمون للأجيال الطالعة وللعالم على أنهم هم النموذج! أي كارثة أكبر من هذا سوف تجيء، إنه انهيار بناء كامل وفرض خيال مريض، وتحجيم الأخيلة، كل هذا يؤدى لانهيار وطن. فالخيال أساس العلم والدين والفن.

من هنا أو من هناك كانت فرحتي بالجائزة وبالنشر لأعمالي، حقيقة لم أفكر للحظة أن هذه الجائزة ميناء وهمي نصب لي في عرض الفرح مليء بالأشراك الخداعية، كدعوى أن الحرب ضرورية للسلام، يا سلام!!

طالما أنه سلام فلماذا الحرب؟

– جهز نفسك ستزور المعبد ... ليس هناك مفر، ربما تحلم بأن تتمارض ستذهب كما ذهبت واستلمت الجائزة، الناس ليس لها إلا الصورة والإعلام والخبر أما أبعد من ذلك فلا تظن.

هل تعتقد أنه مثلاً لو أتيحت لك فرصة الوصول للناس وتقول ما حدث، هل سيصدقك أحد بعدما شاهدوا ما شاهدوا؟ نحن في عصر سلطة الصورة.

ستصبح نصاباً أو على أقل تقدير ينطبق عليك المثل – يعملوها ويخيلوا –

في هذه الحالة ستعرف أنه لم يظلمك سوى العلم والعقل الذي أمنت بهما طوال حياتك – حتى ما تؤمن به تم ذبحه وجُند ضدك، سيصبح كل شيء باطل إلا خيانتك، وبذلك تحصد ضد مازرعت.

– ماذا لو أنتحر؟ هل يمكن أن يتكتموا خبر موتى، وتنشر صور ذهابي إلى أبعد من المعبد بنفس الطريقة، وربما يقدمون دليلاً على أنك طلبت منهم اللجوء السياسي!

أعرف أنهم غاية في الفجور وهو غاية في نفس الوقت، فكما يقول كريش Kirsch إن بعض فقرات التوراة أكثر فجوراً مما نتوقع لأن التعابير الاصطلاحية في النص ترجمت حرفياً بغية إخفاء معانيها،

وأفضل مثال على ذلك تجده في الحكاية المعروفة (راغوت) حين أرسلتها حماتها الأرملة إلى صاحب أراضى ثرى اسمه (بوعز) "فاغتسلي وتطيبي والبسي ثيابك، فإذا رقد فعايني الموضع الذي يرقد فيه وادخلي واكشفي جهة رجليه (أعضاءه التناسلية) واضطجعي فإنه يخبرك بما ينبغي أن تصنعي،" وفعلاً استيقظ بوعز ووجد أعضاءه التناسلية مكشوفة وراغوت الشابة الجميلة بجانبه، سألها "من أنت؟"

فقالت: "أنا راغوت أمتك فابسط ذيل ثوبك على أمتك لأنك ولي"

ويقول أديب توراتي اسمه مارفن (لا يعنى نشر الثوب فوق امرأة مجرد منع قشعريرة من أن تسرى في جسدها بسبب البرد) ولكن أن يندلع حريق الاتصال الجنسي بينهما وهو ما حدث!.

– استعد للذهاب إلى المعبد.

لم تكد ترمي عليّ شباكها بهذا التنبيه حتى أردت أن أصرخ يا ناس كيف الخلاص مما أنا فيه؟ ما العمل؟.

مضى زمن ما العمل، وصار الزمن من عمل العمل وربما كيفية تنفيذه، والعمل دائما ليس لصالحك وليس حلا يرضيك ولكنه في كل الأحوال ضدك حتى لو بدا بغير هذا.

لماذا أنا هكذا؟

ولما لا أكون كغيري، واحد من عباد الله الطيبين الذين يملئون المعدة، وينامون ملء الجفون – عمري بكامله لم أعرف النوم ملء الجفون. –

لماذا أصحو بالليل في العتمة وسط المتاهة أبحث عن نجم أو نقطة بعيدة في الظلام أسير وراءها، لم أسأل إلى أين؟

كأني اخترت الحسرة وحرقة الدم؟

لماذا كل ليلة في تجوالي أتمـــم علـــى حـــدود الأرض وأتحســـس أطرافها، وأتمم على المساجد والمستشـــفيات والمســـاكن وأطمـــئن أن الناس نيام تشخر، يعذبني بكاء طفل، أو بكاء امرأة وأراها بين عينـــي تبكي في عروقي بجلبابها الأسود وتمسح دموعها في شالها الأســـود، كيف أجعلها سعيدة ومبتسمة ومبتهجة؟ مع أننـــي لســـت ســـعيداً ولا مبتهجاً ولا مبتسماً – أعرف أنك ستقول هذا –.

– العربة وصلت ... جهز نفسك.

– إلى أين؟

– إلى المعبد. – قالتها بنفاذ صبر –

– أجهز نفسي و أستعد.

قمت إلى دورة المياه لأغتسل ولكنه أطل من رأسي! يـــاه كيـــف نسيته؟

إنه موسى بن ميمون صاحب دلائل الحائرين هو كتاب في الفلسفة الإسلامية ولكنه مكتوب بنطق عربي بحروف عبرية لذلك نُقلت رفاته إلى جوار طبرية وصار فيلسوفاً يهودياً، قلت هذا طريقي.. وبســـرعة خرجت من دورة المياه وفتحت الكومبيوتر وبحثت عن مادلين وعاليا

ووجدتهما تتألقان على شبكة الانترنت بـالقرب مـن مواقـع اليهـود المغاربة، فدسست في داخل ملفاتهما أمراً بمسـحهما مـن الجرافيـك وفكهما وما تشابه معهما من ملفات وجعلت لا رجعة لتكوينهما وأثبت من باب الاحتياط لوالديهما ديانة إسلامية وطـرق إخفـاء وتظـاهر باليهودية، وجعلت من ثقافتيهما ابن رشد، وموسى ابن ميمون.

– هل أعد لك القهوة؟

رفعت عيني لم أكن أعرف هذه الإنسانة؟

فهمت، كانت قد تغيرت تماماً ولبست الملابس العربية ولكنى كنت أعرف أنها إلى زوال فقد بدأت الملفات في العمل ولا قدرة لإيقافهـا، بحثت في كافة المواقع عن مادلين وعالية وتكوين أجدادهما القـدماء، كانت الشرائح التي أدمجت موافقـة للحركـات بمجموعـات أوامـر الحركة، وضعت مع أمر (إلا إذا) حدث أي تدخل أو محاولـة فـتح البرنامج يتم تدمير البرنامج للشخصيات، ولكن تم التدخل وأنا أتـدخل مرة أخرى فعرفت أن من قام بتوليد البرنامج أكثر منى خبرة ولكـن ذكاء الإنسان كان ثقتي، فقررت وضع الحقائق كاملة في نفس الموقع في برامج داخل ملفات بنفس الأسماء تفتح وتقدم الحقـائق بمجـرد استعراض أسمائها، كانت هذه الشرائح ناهضة فـي العمـل فقـررت إعطاءها أوامر بالإزالة، كانت الملفات تتحلل وسمعت صوت استغاثة في المجر وألمانيا والنمسا، وأمريكا فسارعت بكشف المواقـع كانـت

الشخصيات تتلوى وتتفكك وتتلاشى بعيداً وأنا أستريح وأحسس أننـــي أخرج من ثقب ضيق إلى براح الحقول.

حمدت الله كثيراً وناديت فاطمة ولكنها لم ترد - كنت أعتقد أننـــي أسميت عاليا فاطمة ولكنى لم أفعل -، بحثت في كل الفـــيلا ولكنهـــا صارت شقة بباب يفتح على شارع في مواجهة بولاق وسط مســـاكن شعبية!

انتفضت من شدة الخوف وصرخت فزعـــاً: يـــا ســـاتر يـــا رب فاصطدمت رأسي بالمنضدة التي بجوار السرير، انتفضت من نـــومي واقفاً، ثم جلست متعباً ومكدوداً وأحس جفافاً في حلقي، والحجرة على ما هي عليه.

ما الذي حدث؟

امتدت يدي إلى زجاجة الماء، شربت لكن لفـــت نظـــري وجـــود مظروف طويل على التسريحة.

- اللجنة العالمية للحريات - لاهاي.

نتشرف بدعوى سيادتكم لاستلام جائزة الحريات العالميـــة، التـــي استحققتها عن جدارة لمواقفكم الشجاعة باتجاه قضايا الحريـــة، كـــذلك تجدر الإشارة إلى أعمالكم الرائدة في ذات المجال.

واللجنة إذ تتشرف بإخباركم فإنها ترسل طيه تذاكر السفر إلى مقر اللجنة بلاهاي، والبرنامج به برنامج خاص بكم للترفيه وزيارة الأماكن التي ترغبون في زيارتها.

مقرر عام اللجنة.

صلاح والي

٢٠٠١/١١/١٣

للمؤلف:

الرواية

١ ـــ نقيق الضفدع، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٨

٢ ـــ ليلة عاشوراء، الهلال،١٩٩٢

٣ ـــ عائشة الخياطة، مختارات فصـــول، ١٩٩٦، مكتبـــة الأســـرة، ٢٠٠١

٤ ـــ الرعية، إتحاد الكتاب، ٢٠٠٢

٥ ـــ كائنات هشة لليل، أصوات أدبية الثقافة الجماهيرية، ٢٠٠٠

٦ ـــ فتنة الأسر، ميريت ،٢٠٠٣

الشعر:

١ ـــ تحولات فى زمن السقوط، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧١

٢ ـــ تداعيات العشق والغربة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٨

٣ ـــ من أين يأتى البحر، دار الغد، ١٩٩١، ط٢ مكتبة الأسرة ٢٠٠٤

٤ ـــ الغواية، دار سعاد الصباح، ١٩٩٢

٥ ـــ الرؤيا والوطن، أصوات أدبية – الثقافة الجماهيرية، ١٩٩٥، ط٢ ديوان الشعر الحديث، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤

٦ ـــ تجليات حرف الصاد، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤